



وضع الظاهر موضع المضمّر في تفسير الجلالين: جمعاً ودراسة

د. علي جريد العنزي

قسم الدراسات الإسلامية – جامعة الحدود الشمالية



وضع الظاهر موضع المضمّر في تفسير الجلالين: جمعاً ودراسة

د. علي جريد العنزي
قسم الدراسات الإسلامية – جامعة الحدود الشمالية

ملخص البحث:

عنوان هذه الدراسة: "وضع الظاهر موضع المضمّر في تفسير الجلالين – جمعاً ودراسة".
تهدف الدراسة إلى بيان المراد بأسلوب وضع الظاهر موضع المضمّر، وبيان فوائد هذا الأسلوب في ضوء ما ذكره المفسرون وأهل البلاغة.
كما تهدف الدراسة إلى جمع الآيات التي فيها هذا الأسلوب، وذلك من خلال تفسير الجلالين.
يتكون هذا البحث من مقدمة وقسمين وخاتمة.
أما القسم الأول فكان في ثلاثة مباحث، اثنان في ترجمة الجلالين، والثالث كان في بيان المراد من وضع الظاهر موضع المضمّر، ثم براهين وجوده، وبيان فوائده وحكمه وأغراضه، وقسم هذا إلى ثلاثة مطالب.
ثم جاء القسم الثاني في دراسة الآيات التي قال الجلالان: إن فيها وضع الظاهر موضع المضمّر، وفي ثنايا الدراسة جمع لمن أثبت هذا الأسلوب في كل آية تدرس، مع بيان فائدته والحكمة منه.
ثم خاتمة البحث، وفيها أهم النتائج والتوصيات.



المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب وجعله تبياناً، وصرف فيه من الوعد والوعيد وجعله فرقاناً، أحسن كتبه بياناً، وأوضحها حلالاً وحراماً، محكم البيان، واضح البرهان، محروس من الزيادة والنقصان.

أشهد ألا إله إلا الله المتفرد بالكمال والجلال، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى من خير آل، والمنعوت بخير خلال، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فإن من أجل الساعات، وألذ الأوقات، وأنفس اللحظات، لحظة تقضى مع كتاب الله تبارك اسمه، وساعة تملأ بالانشغال بكلام الله جل ذكره وتعالى نعته، ينظر المرء فيها بكتاب ربه متلمساً أنواره، ومبتغياً حكمه وغاياته، وطالبا علومه وهداياته. وإن من أنواع العلوم المتصلة بكتاب الله تعالى ما يتعلق بأسلوبه وبلاغته وفصاحته، وهذا العلم حاز عند العلماء قدراً عالياً وجانياً رفيعاً من الاهتمام والاعتناء، وكان أحد مباحث المطروقة، ومواده الموثقة، وأساليبه المعلومة: "وضع الظاهر موضع المضمّر"، فتناوله المفسرون في ثنایا كلامهم على آيات الكتاب العزيز، كما طرّقه المصنفون في علوم القرآن الكريم، وأيضاً؛ كان مثار إعجاب عند أرباب البلاغة وأصحاب المعاني، فجودوه في مؤلفاتهم، وحبروه في مصنفاتهم، فجزاهم الله عن كتابه خير الجزاء.

وتأسياً بأهل العلم والفضل، ومحبة في خدمة كتاب الله تبارك وتعالى قصدت الكتابة في هذا الأسلوب الماتع، والبيان الرائع، فعمدت إلى تفسير هو من أجل كتب التفسير على اختصاره، ومن أعظمها على إيجازه، ألا وهو "تفسير الجلالين"، فألفيته أحاط بجمل حسن وأفراد طيبة من هذا النوع، تستحق أن تجمع، فتدرس، لتكون لبنة من لبنات قليلة وضعت لدراسة هذا الأسلوب، وقاعدة في هذا النوع، وحثاً للباحثين للنظر

والكتابة فيه، ولتجمع أطرافه، وتلمَّ أشتاته، فتظهر حكمته، وتبين فوائده، فكان هذا البحث، وأسميته:

"وضع الظاهر موضع المضمّر في تفسير الجلالين- جمعاً ودراسة".

سائلاً الله تبارك وتعالى أن يتقبله وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به كاتبه وقارؤه، إنه سميع قريب.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

وضع الظاهر موضع المضمّر موجود في القرآن الكريم بوفرة، ومستعمل بكثرة، وما كان كذلك، فالإشادة به وبحثه من أوليات العلم ومهماته.

يبرز هذا الموضوع بلاغة القرآن الكريم، ويظهر عظمة كلام ربنا تبارك وتعالى، كما يجلي لنا الحكم المستفادة منه، ويبحث فيما وراء هذا الأسلوب وحكمه ودوافعه، لنخرج بفوائد عديدة وحكم جليّة من طرق هذا الموضوع.

وضع الظاهر موضع المضمّر أحد مباحث علوم القرآن، فبحثه وجمع أفراد عناية بهذا العلم الشريف.

قلة ما كتب في هذا الأسلوب: "وضع الظاهر موضع المضمّر"، فلعل هذا البحث يكون طليعة بحوث مستقبلية، ويسد ثغرة في مكتبة علوم القرآن الكريم.

ومن أسباب اختيار هذا البحث أنه يخدم كتاب تفسير وقع موقع جليلاً في صدور الذين أوتوا العلم، ألا وهو "تفسير الجلالين".

أهداف الموضوع:

التعريف بمصطلح "وضع الظاهر موضع المضمّر" وبيان أهميته.

جمع ما قال عنه الجلالان في تفسيرهما: إنه من قبيل وضع الظاهر موضع المضمّر.

ودراسته.

إظهار بعض الحكم المستفادة من هذا الأسلوب.

خطة البحث:

تكون هذا البحث من مقدمة وقسمين وخاتمة.

أما المقدمة: فقد بينت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهدافه وخطته والمنهج المتبع في كتابته.

وأما القسمان: فالأول منهما خصص في التعريف بالجلالين، وبأسلوب وضع الظاهر موضع المضمّر، وقسمته إلى ثلاثة مباحث، المبحث الأول: ترجمة جلال الدين المحلي، وفيه المطالب الآتية:

المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده.

المطلب الثاني: نشأته وطلبه للعلم.

المطلب الثالث: شيوخه وتلاميذه.

المطلب الرابع: مؤلفاته.

المطلب الخامس: عقيدته ومذهبه.

المطلب السادس: وفاته.

المبحث الثاني: ترجمة جلال الدين السيوطي، وفيه المطالب الآتية:

المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده.

المطلب الثاني: نشأته وطلبه للعلم.

المطلب الثالث: شيوخه وتلاميذه.

المطلب الرابع: مؤلفاته.

المطلب الخامس: عقيدته ومذهبه.

المطلب السادس: وفاته.

ثم المبحث الثالث، في التعريف بأسلوب وضع الظاهر موضع المضمَر، وفيه المطالب الآتية:

المطلب الأول: المراد بوضع الظاهر موضع المضمَر لغة واصطلاحاً.
المطلب الثاني: وجود أسلوب وضع الظاهر موضع المضمَر في القرآن الكريم وفي لغة العرب.

المطلب الثالث: فوائد أسلوب وضع الظاهر موضع المضمَر بين المفسرين والبلاغيين.
القسم الثاني: الآيات التي ذكر فيها وضع الظاهر موضع المضمَر، وفي هذا القسم جمع ودراسة للآيات القرآنية التي قيل: إنها من قبيل وضع الظاهر موضع المضمَر.
الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الدراسات السابقة:

الدراسات المخصصة لهذا الأسلوب قليلة جداً، كحال كثير من أنواع علوم القرآن، وبعد كتابة البحث كاملاً، وجدتُ الدراسات الآتية:
(الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم: مفهومه - أغراضه - عناية المفسرين به) للدكتور: عبد الرزاق حسن اليوسف، منشور في مجلة الشاطبي، العدد التاسع، جمادي الآخرة ١٤٣١هـ.

وقد عنيت هذه الدراسة بالتقدمة لهذا الأسلوب فقط، معتمداً رهباً في جل الأمثلة والأغراض على ما أورده الزركشي.

(الإظهار في مقام الإضمار في تفسير التحرير والتنوير، من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة آل عمران - جمعاً ودراسة)، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلومه في جامعة المدينة العالمية بماليزيا، للباحث إدريس محمد أبكر، في عام ٢٠١١، منشورة على شبكة الانترنت.

العدول عن الإضمار إلى الإظهار في القرآن الكريم ((سورة يوسف أنموذجاً تطبيقياً)) للباحث نوفل إسماعيل صالح، نشر في مجلة ديالى العراقية، العدد الثامن والثلاثون، ٢٠٠٩م.

وهي دراسة مختصرة جداً لم يعتن بالأغراض والمقاصد إلا يسيراً.

منهج البحث:

اخترت المنهج الاستقرائي والتحليلي في هذا البحث، حيث قمت بتتبع ما قال عنه الجلالان: إنه من قبيل وضع الظاهر موضع المضمّر، وبيان من وافقهما ومن سبقهما على هذا، والحديث عن حكم هذا الأسلوب العظيم، مع مراعاة ما يلي: كان الترتيب المعتمد للمواضع التي تمت دراستها هو ترتيب الآيات القرآنية حسب مواضعها في المصحف الشريف.

النص على الموطن الذي ذكر فيه هذا الأسلوب في الآية الكريمة. ذكر أقوال المفسرين في الآية الكريمة، وبيان ما سطره من فوائد وحكم لهذا الأسلوب المبارك.

بيان أهمية بعض الفوائد والاستدلال لها إن وجدت في القرآن الكريم. عرفت بالأعلام المذكورين في ثنايا البحث. والله أسأل أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبله منا، ويتجاوز عنا خطأنا وتقصيرنا، وأسأله تعالى أن ينفع به كاتبه وقارؤه إنه سميع قريب. وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين.

* * *

القسم الأول، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ترجمة جلال الدين المحلي^(١):

المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده:

جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد الأنصاري المحلي القاهري

الشافعي.

والمحلي أصلاً، نسبة للمحلة الكبرى من الغربية في مصر.

وكان مولده سنة إحدى وتسعين وسبعمائة بالقاهرة، هكذا أثبتته المترجم بخط

يده، كما رآه السخاوي ونقله.

المطلب الثاني: طلبه للعلم ونشأته:

نشأ الإمام المحلي بالقاهرة، وبها قرأ القرآن، واشتغل في فنون عدة على علماء عصره، فأخذ الفقه وأصوله والعربية، وعني بالفقه حتى برع فيه، وقرأ في علوم الحديث على الولي العراقي وابن حجر، وانتفع بهما، لكنه لم يكن يحفظ، ولا يقدر عليه، ويقاسي منه شدة، حتى إنه حفظ كراساً من بعض الكتب، فامتلاً بدنه حرارة، غير أن الله وهبه ذكاء وفطنة، حتى قيل في وصفه: هو آية في الذكاء والفهم، وكان بعض أهل عصره يقول فيه: إن ذهنه يتقب الماس، وكان يقول عن نفسه: أنا فهمي لا يقبل الخطأ^(٢).

لأجل هذا وصف بالتحقيق في العلم والإمامة فيه، قال السخاوي فيه: "محقق

العصر"^(٣).

(١) انظر ترجمته في: الضوء اللامع (٣٩ / ٧)، حسن المحاضرة (٤٤٣ / ١)، طبقات المفسرين للداودي (٨٤ / ٢)، شذرات الذهب (٤٤٧ / ٩)، التاج المكلل (ص: ٤٠٥)، الأعلام للزركلي (٣٢٣ / ٥) معجم المفسرين (٤٨٥ / ٢).

(٢) انظر: الضوء اللامع (٤١٧ / ٧)، حسن المحاضرة (٤٤٣ / ١)، الأعلام للزركلي (٣٢٣ / ٥).

(٣) الجواهر والدرر (١١٣٠ / ٢).

المطلب الثالث: شيوخه وتلاميذه:

أخذ الجلال المحلي العلم عن عدد من العلماء، وأفاد منهم وتخرج بهم، وكان من هؤلاء:

أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، الإمام العلم، توفي سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة^(١).

سراج الدين، عمر بن علي بن أحمد بن محمد ابن الملقن الأنصاري، مات سنة أربع وثمانمائة^(٢).

قاضي القضاة، علم الدين صالح ابن شيخ الإسلام سراج الدين أبو حفص عمر بن رسلان بن نصير البلقيني، حامل لواء مذهب الشافعي في عصره، توفي سنة ثمان وستين وثمانمائة^(٣).

شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان البساطي المالكي، عالم العصر، توفي سنة أربعين وثمانمائة^(٤).

ولي الدين، أبو زرعة أحمد بن الحافظ أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين، العراقي، الشافعي، توفي سنة ست وعشرين وثمانمائة^(٥).

(١) انظر ترجمته الواسعة في الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، وانظر فيه إثباتات تتلمذ المحلي عليه في (٣ / ١١٣٠).

(٢) انظر ترجمته في: ذيل التقييد في رواية السنن والأسانيد (٢ / ٢٤٧)، حسن المحاضرة (١ / ٤٣٨)، الأعلام للزركلي (٥ / ٥٧)، معجم المفسرين (١ / ٣٩٧).

(٣) انظر ترجمته في: حسن المحاضرة (١ / ٤٤٤)، معجم المفسرين لعادل نويهض (١ / ٢٣١).

(٤) انظر ترجمته في: الضوء اللامع (٧ / ٥)، بغية الوعاة (١ / ٣٢)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (١ / ٢٩١)، معجم المؤلفين (٨ / ٢٩١).

(٥) انظر ترجمته في: الضوء اللامع (١ / ٣٢٦)، حسن المحاضرة (١ / ٣٦٣)، الأعلام للزركلي (١ / ١٤٨)، معجم المفسرين (١ / ٤٣).

تلاميذه:

اشتهر الجلال المحلي بغزارة العلم، وقوة الفهم، فحرص الطلاب على الأخذ منه، والتلمذ عليه، يقول السخاوي: "وقرأ عليه من لا يحصى كثرة، وارتحل الفضلاء، للأخذ عنه، وتخرج به جماعة درسوا في حياته"^(١).

شمس الدين، السخاوي، أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد توفى سنة اثنتين وتسعمائة^(٢).

جلال الدين السيوطي، صاحب التصانيف، وستأتي ترجمته بحول الله تعالى.
برهان الدين، إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن علي بن مسعود المري، المقدسي ثم القاهري الشافعي^(٣).

المطلب الرابع: مؤلفاته:

لم يكن الجلال -رحمه الله- مكثراً من التصنيف، غير أنه كان معنياً جداً بالتحقيق والتنقيح لما يكتب، ولهذا امتدح غير واحد مصنفاته، ونعتوها بجودة التحقيق، وقوة التدقيق، وفي هذا يقول السيوطي:

"وألف كتباً تشد إليها الرّحال، في غاية الاختصار والتحرير والتنقيح، وسلامة العبارة وحسن المزج، والحل بدفع الإيراد، وقد أقبل عليها الناس وتلقوها بالقبول، وتداولوها"^(٤).

ومن هذه الكتب المحررة:

كتاب التفسير، ولم يكمله، والمعروف بتفسير الجلالين، قال السيوطي: "وأجل كتبه التي لم تكمل تفسير القرآن، كتب منه أول الكهف إلى آخر القرآن في أربعة عشر

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٧ / ٤٠).

(٢) انظر ترجمته في: الضوء اللامع (٨ / ٢)، التاج المكلل (ص: ٤٣٢)، الأعلام للزركلي (٦ / ١٩٤).

(٣) الضوء اللامع (١ / ١٣٥)، الأعلام للزركلي (١ / ٦٦).

(٤) حسن المحاضرة (١ / ٤٤٤).

كراساً؛ في قطع نصف البلدي، وهو ممزوج محرر في غاية الحسن، وكتب على الفاتحة وآيات يسيرة من البقرة، وقد أكملته بتكملة على نمطه من أول البقرة إلى آخر الإسراء^(١).

شرح الورقات للجويني (مطبوع متداول)^(٢).

البدر الطالع في حل ألفاظ جمع الجوامع^(٣)، "وهو أحسن شروح جمع الجوامع^(٤).
حواشي جلال الدين المحلي على قواعد الإعراب^(٥)، لم يكمله.
كنز الراغبين شرح منهاج الطالبين^(٦).
وله مصنفات أخرى نوه بذكرها السيوطي والسخاوي وغيرهما^(٧).

المطلب الخامس: عقيدته ومذهبه:

أما عقيدته، فهي العقيدة الأشعرية؛ لذا نجد أثرها في تفسيره، كقوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ﴾ (الفجر: ٢٢)، قال: أمره^(٨).
وللشيخ عبد الرزاق عفيفي تعليق نافع اعتنى فيه ببيان الأخطاء العقدية في الكتاب من سورة غافر إلى نهاية القرآن الكريم، وهو يدرس في معاهد جامعة الإمام.
وأما مذهبه فهو مذهب الإمام الشافعي، كما أثبت هذا سائر من ترجم له.

(١) حسن المحاضرة (١/٤٤٤).

(٢) حققه د. حسام الدين عفانة، وهي من أحسن طباعته.

(٣) طبع بتحقيق مرتضى الداغستاني.

(٤) قاله حاجي خليفة في كشف الظنون (١/٥٩٦).

(٥) حققه الطالب: عبد الفتاح فؤاد بدوي في رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية في غزة.

(٦) صدر عن دار المنهاج، بعناية محمود الحديدي.

(٧) انظر: الضوء اللامع (٧/٤٠)، حسن المحاضرة (١/٤٤٤)، هدية العارفين (٢/٢٠٢).

(٨) تفسير الجلالين (ص: ٨٠٧).

المطلب السادس: وفاته:

توفي في أول يوم من سنة أربع وستين وثمانمائة، بعد عمر شغله -فيما نحسب-
بالعلم النافع، فرحمه الله رحمة واسعة، وغفر له.

* * *

المبحث الثاني: ترجمة جلال الدين السيوطي^(١).

المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده

أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن ابن كمال الدين أبو بكر بن عثمان بن محمد بن خضر بن أيوب الخضيرى السيوطى المصرى الشافعى.
والخضيرى: نسبة -فيما يظهر- إلى محلة الخضيرية ببغداد^(٢).
والسيوطى: نسبة إلى أسىوط مدينة في صعيد مصر.
وجده الأعلى كان أعجمياً، وأمّه أم ولد تركية.

وكان مولده بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة بالقاهرة، وكان يلقب بابن الكتب؛ لأن أباه كان من أهل العلم، واحتاج إلى مطالعة كتاب، فأمر أمه أن تأتيه بالكتاب من بين كتبه، فذهبت لتأتي به، فجاءها المخاض وهي بين الكتب فوضعت^(٣).

المطلب الثاني: نشأته وطلبه للعلم

نشأ السيوطى في بيت علم، فكان والده -رحمه الله- على عناية بالغة به، ومن مظاهر هذا أنه كان يحمله معه إلى مجالس العلماء وهو صغير لا يعقل، فأحضره مجلس شيخ الإسلام ابن حجر وعمره ثلاث سنين مرة واحدة، رجاء بركة الدرس، ولما توفي والده كان عمره ستة أعوام، وأوصى به إلى الشيخ ابن الهمام فاعتنى به.

(١) انظر: التحدث بنعمة الله، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (٣٣٥/١)، النور السافر عن أخبار القرن العاشر (ص: ٥١)، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة (٢٢٧/١)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٧٤/١٠)، البدر الطالع (٣٢٨/١)، التاج المكلل (ص: ٣٤٢)، فهرس الفهارس (١٠١٠/٢)، هدية العارفين (٥٣٤/١)، الإمام الحافظ جلال الدين السيوطى معلمة العلوم الإسلامية، مقدمة البحر الذي زخر (٥٥/١).

(٢) انظر: التحدث بنعمة الله (ص: ٦)، حسن المحاضرة (٣٢٦/١).

(٣) النور السافر عن أخبار القرن العاشر (ص: ٥١).

وأقبل على الحفظ في وقت مبكر، فختم القرآن ولم يبلغ ثمان سنين، ثم حفظ عمدة الأحكام ومنهاج النووي وألفية ابن مالك ومنهاج البيضاوي وعرضها وهو دون البلوغ على مشايخ عصره.

وشرع في تعلم العلوم الشرعية ولازم مشايخ عصره، وتخرج بهم، وأجيز بتدريس العربية في سنة ست وستين وثمانمائة، أي: وهو ابن سبع عشرة سنة، وبدأ التصنيف في تلك السنة^(١).

وأخبر عن نفسه أنه سافر في سبيل العلم إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور^(٢).

المطلب الثالث: شيوخه وتلاميذه:

ذكر السيوطي عدد شيوخه في الرواية والسمع فقط دون بقية الفنون الأخرى، فبلغوا نحو خمسين ومائة، وهو مع هذا لم يكثر من الرواية؛ لاشتغاله بالدراسة، وهي أهم^(٣).

وهذا عدد لاشك بكثرته لو كان في سائر العلوم، فكيف وهو محصور بالرواية والسمع.

ولهذا، ذكر السيوطي أنَّ عدد شيوخه بلغ ستمائة شيخ^(٤)، وترجم لهم في كتابه "حاطب ليل وجارف سيل"، و"المعجم الصغير" ويسمى المنتقى^(٥).

(١) حسن المحاضرة (١/٣٢٧).

(٢) المصدر السابق (١/٣٣٨).

(٣) المصدر السابق (١/٣٣٩).

(٤) انظر: الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي معلمة العلوم الإسلامية (ص ٤٧)، مقدمة البحر الذي زخر (١/٥٣).

(٥) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (١/٣٤٤).

ومن أبرزهم:

قاضي القضاة، علم الدين صالح بن عمر بن رسلان بن نصير البلقيني، حامل لواء مذهب الشافعي في عصره؛ توفي سنة ثمان وستين وثمانمائة^(١)، وقد أخبر بملازمته له في الفقه إلى موته^(٢).

قاضي القضاة شرف الدين يحيى بن محمد بن محمد بن محمد المناوي، توفي سنة إحدى وسبعين وثمانمائة، وهو آخر علماء الشافعية ومحققيهم^(٣).

تقي الدين أحمد بن محمد بن محمد الشمني الحنفي، أخذ عنه الحديث والعربية، توفي سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة^(٤).

محيي الدين محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الكافي، توفي سنة تسع وسبعين وثمانمائة.

لزمه أربع عشرة سنة؛ وأخذ عنه الفنون من التفسير والأصول والعربية والمعاني وغير ذلك^(٥).

تلاميذه:

جلس السيوطي للتدريس في سن مبكر—كما ذكر هو عن نفسه—فأخذ عنه جمع من الطلاب، وتصدى للإفتاء سبع عشرة سنة، ثم انصرف عن التدريس، واعتزل الناس، وانقطع للتأليف، وذلك في أواخر حياته، بعد أن بلغ من العمر أربعين سنة^(٦).

(١) انظر ترجمته في: حسن المحاضرة (٤٤٤/١)، معجم المفسرين لعادل نويهض (٢٣١/١).

(٢) حسن المحاضرة (٣٣٧/١).

(٣) انظر ترجمته في: حسن المحاضرة (٤٤٥/١)، الأعلام (١٦٧/٨)، معجم المفسرين (٧٣٥/٢).

(٤) انظر ترجمته في: حسن المحاضرة (٤٧٤/١)، الأعلام (٢٣٠/١)، معجم المفسرين (٧٢/١).

(٥) انظر ترجمته في: حسن المحاضرة (٥٤٩/١)، الأعلام (١٥٠/٦)، معجم المفسرين (٥٣٥/٢).

(٦) انظر: شرح مقامات السيوطي (١٠٤٣/٢).

فمن تلاميذه:

محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي، توفي سنة خمس وأربعين وتسعمائة، وترجم لشيخه السيوطي في مجلد ضخم^(١).

محمد بن علي بن أحمد بن طولون الدمشقي الصالحي، توفي سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة^(٢).

محمد بن يوسف بن علي، شمس الدين الشامي، توفي سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة^(٣).

المطلب الرابع: مؤلفاته:

يعد السيوطي من أكثر العلماء تأليفاً، وذلك بسبب انقطاعه وانشغاله بالتأليف، وأيضاً توفر آلات البحث لديه، وغزارة العلم، وسعة الاطلاع، وها هو يقول عن نفسه: "وقد كملت عندي الآن آلات الاجتهاد - بحمد الله تعالى -؛ أقول ذلك تحدياً بنعمة الله تعالى لا فخراً ... ولو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفاً بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية، ومداركها ونقوضها وأجوبتها، والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك من فضل الله، لا بحولي ولا بقوتي"^(٤). وكتبه - رحمه الله - مشهورة ومتداولة بين العلماء وطلبة العلم، لذا؛ سألقي الضوء على عددها فحسب، فأقول:

(١) انظر: الكواكب السائرة (٧٢/٢)، الأعلام (٢٩١/٦).

(٢) الكواكب السائرة (٥١/٢)، الأعلام (٢٩١/٦)، معجم المفسرين (٥٨٩/٢).

(٣) الأعلام للزركلي (١٥٥ / ٧)، معجم المفسرين (٦٥٧/٢).

(٤) حسن المحاضرة (٣٣٩/١).

قام السيوطي بعدد كتب في كتابين له، ففي (التحدث بنعمة الله) ذكر من كتبه (٥٣٠) مؤلفاً، بينما في حسن المحاضرة ذكر أنها بلغت (٣٠٠) كتاب سوى ما غسله ورجع عنه.

بينما نجد تلميذه الشاذلي في ترجمة شيخه عدها، فبلغت (٥٢٤) مؤلفاً. وقد قام عدد من العلماء والباحثين بالاعتناء بإحصاء كتب السيوطي وعدها، وكان من آخرهم إِياد خالد الطباع في كتابه: "الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي معلمة العلوم الإسلامية" فقد اعتنى بعدها اعتناءً بالغاً، وقام بجهد يشكر عليه، ونظر في جل ما كتب في هذا الباب، واستفاد منها، فبلغ عدها عنده (١١٩٤) مؤلفاً^(١).

المطلب الخامس: عقيدته ومذهبه:

كان السيوطي على المذهب الأشعري في باب الأسماء والصفات، كما يدل على هذا صنيعه في باب المحكم والمتشابه من كتابه الإِتقان^(٢). ولما قام الشيخ المغراوي بدراسة كتاب الجلالين من جهة الاعتقاد، قال: "هو أشعري كبير، ما ترك صفة إلا أولها، إلا صفة الاستواء، فإنه أثبتتها على ضعف في ذلك والرؤية"^(٣). وعنده - غفر الله له - تصوف واضح، بل هو محب لهم، مدافع عنهم، مؤمن بخرافتهم^(٤).

ومن كتبه: تأييد الحقيقة العلية وتشديد الطريقة الشاذلية^(٥).

(١) انظر: الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي معلمة العلوم الإسلامية (ص ٣٠٩)، المحاضرات والمحاورات (ص: ١٥).

(٢) انظر: الإِتقان في علوم القرآن (٤/ ١٣٥٤).

(٣) المفسرون بين التأويل والإثبات (١١٦٦).

(٤) انظر: التحدث بنعمة الله (ص ٥)، الكواكب السائرة (١/ ٢٢٩)، مقدمة البحر الذي زخر (١/ ٧٤-٧٦).

(٥) انظر: حسن المحاضرة (١/ ٣٤٤).

المطلب السادس: وفاته.

بعد عمر بلغ إحدى وستين سنة وعشرة أشهر وثمانية عشر يوماً، حفل بالعلم والاجتهاد فيه توفي الإمام السيوطي، وذلك في سحر ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى، سنة إحدى عشرة وتسعمائة في منزله بعد أن تمرض سبعة أيام بورم شديد في ذراعه الأيسر، فرحمه الله رحمة واسعة، وغفر له.

* * *

المبحث الثالث: وضع الظاهر موضع المضمّر، المراد به وإثباته وبيان فوائده.

المطلب الأول: المراد بوضع الظاهر موضع المضمّر لغة واصطلاحاً.

الظاهر والمضمّر أو الضمير، والإظهار والإضمار كلمات متقابلة، فالظاهر ضد المضمّر، وكذا الإظهار عكس الإضمار.

وأصل الظاهر من الظهور وهو البروز والوضوح بعد الخفاء، يقال: "ظهر الشيء يظهر ظهوراً فهو ظاهر، إذا انكشف وبرز، ولذلك سمي وقت الظهر والظهير، وهو أظهر أوقات النهار وأضوؤها"^(١).

ويقال: أظهر فلاناً على السر أطلعه عليه، وأظهره عليه، أي: أطلعه، وظهرت عليه، أي: اطلعت.

وأما الضمير والمضمّر، فهذه المادة تفيد الخفاء، يقال: أضمر في نفسه أمراً، إذا أخفاه.

وأضمرته الأرض: غيبته إما بموت وإما بسفر؛ قال الأعشى^(٢):

أرانا، إذا أضمرتكَ البلاد..... نجفى، وتقطع منا الرحم.

قال ابن فارس: "الضاد والميم والراء أصلان صحيحان، أحدهما يدل على دقة في الشيء، والآخر يدل على غيبة وتستتر"^(٣).

أما في الاصطلاح^(٤):

(١) مقاييس اللغة (٤٧١/٣)، وانظر: مختار الصحاح (ص: ١٩٧)، لسان العرب (٥٢٣/٤)، المصباح المنير (٣٨٧/٢)، تاج العروس (٤٨٤/١٢)، المعجم الوسيط (٥٧٨/٢).

(٢) انظر: ديوان الأعشى (ص: ٤١).

(٣) مقاييس اللغة (٣٧١/٣)، وانظر: أساس البلاغة (٥٨٦/١)، مختار الصحاح (ص: ١٨٥)، لسان العرب (٤٩٢/٤)، المصباح المنير (٣٦٤/٢)، المعجم الوسيط (٥٤٣/١).

(٤) انظر: عروس الأفراح (٢٦٥/١)، البلاغة العربية لحنكة (٥٠٣/١)، شرح أصول التفسير للعثيمين (ص: ٣٨٠).

فيراد بهذا الأسلوب: وضع الاسم الظاهر بدل الضمير لسبب.

وشرح هذا أن يقال:

الأصل في الأسماء أن تكون ظاهرة، فلا ينوب عنها الضمير، هذا هو الأصل، ثم أصل ثاني، وهو: أن الاسم إذا ذكر ثم أردنا ذكره مرة أخرى، ذكرنا بدله الضمير الدال عليه.

لكن قد يعدل عن هذا الأصل، فيذكر الاسم الظاهر محل الضمير؛ لمناسبة بلاغية، لا تتأتى هذه المناسبة لو استعمل الضمير، فيعبر عن هذا بـ: "وضع الظاهر موضع المضمّر أو الضمير" و"الإظهار مقام الإضمار"، لأننا وضعنا بدل الضمير اسماً ظاهراً.

فأنت ترى أن هذا الأسلوب فيه خروج عن الأصل.

ومثاله: قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٩٨).

فانظر كيف أن الله جل ذكره أعاد اسمه الكريم في قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ ولم يقل سبحانه: فإنه عدو للكافرين مع أنه مذكور أولاً، فهذا خروج عن الأصل، ولكنه لحكم بالغة، سيأتي ذكر بعضها-إن شاء الله تعالى-.

المطلب الثاني: وجود أسلوب وضع الظاهر موضع المضمّر في القرآن الكريم وفي لغة العرب.

لعل من نافلة الحديث قولنا: إن وضع الظاهر موضع المضمّر أسلوب ثابت في القرآن واللغة، فشاهد هذا كثيرة لا تعد، وإنما أذكر ما أذكر ههنا من باب: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبُ﴾ (البقرة: ٢٦٠)، فأقول مستعيناً بالله تعالى:

هذا الأسلوب موجود في القرآن الكريم، مذكور في كتب علوم القرآن، كما أنه معروف عند البلاغيين، ويستشهدون له بديوان العرب.

أما القرآن الكريم، فمذكور في آيات عديدة، تصل عند بعض المفسرين إلى أكثر من ثمانين موضعاً من كتاب الله تعالى، بل قال السمين الحلبي: "القرآن ملآن من هذا النوع، وهو من أحسن ما يكون"^(١).

كما نلاحظ في القرآن الكريم مواضع عديدة داخلية ضمن هذا النوع دخولاً ظاهراً، حيث نجد أن الاسم الظاهر أبرز في موضع، وأضمر في موضع آخر، فمثلاً: نجد قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (يونس: ٦٠)، فهنا ذكر الضمير العائد على الناس، وفي موضع آخر قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: ٢٤٣) فذكر الاسم مكرراً، ولم يأت بالضمير، كما في الآية السابقة، بل أقام الظاهر مقام المضمّر.

وقد قام حفيد الأمير الصنعاني^(٢) بدراسة هذه الآيات في رسالة مستقلة، أسماها: "الدر المصون في نكتة الإظهار والإضمار في أكثر الناس وأكثرهم لا يعلمون"^(٣).

ومن هذا: تكرار الاسم من دون ذكر الضمير العائد عليه، كقوله: ﴿الْحَاقَّةُ ١﴾ وَمَا أَزْرَكَ مَا الْحَاقَّةُ ٢﴾ (الحاقة: ١-٣)، وكقوله: ﴿الْقَارِعَةُ ١﴾ وَمَا الْقَارِعَةُ ٢﴾ وَمَا أَزْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣﴾ (القارعة: ١-٣)، وكقوله: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ١﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ ٢﴾ (الواقعة: ٨).

(١) الدر المصون (٦/٥٣).

(٢) علي بن إبراهيم بن محمد بن إسماعيل الصنعاني، ولد سنة إحدى وسبعين ومائة وألف، كان مفرد الذكاء سريع الفهم، قوي الإدراك، فصيح العبارة فائق النظم والنثر، وكان كثير التنقل في الديار، توفي سنة تسع عشرة ومائتين وألف، انظر: البدر الطالع (١/٢١٧).

(٣) وقد قام بتحقيقها: الطالب حبيب سفيان محمد في رسالة الماجستير في جامعة المدينة العالمية بماليزيا، وهي منشورة على الشبكة العنكبوتية.

وتأمل قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۖ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ (الزلزلة: ١-٢) كيف أعاد ذكر الأرض، ولم يقل: وأخرجت أثقالها، فأظهر في موضع الإضمار.

وفي هذا البحث ذكر لآيات كريمة جاءت على هذا الأسلوب، ونقل لكلام المفسرين فيه من غير نكير، بل هم يكادون يجمعون عليه على اختلاف مشاربهم، وتباين وآرائهم.

إن في هذا لدليلاً واضحاً على وجوده في كتاب الله تعالى، حتى قال العلامة محمد أبو موسى شيخ البلاغة في عصرنا:

”وخذ المصحف، واقرأ فيه من أي موضع تشاء تجد هذا الأسلوب، وكأنه أصل من أصول البلاغة القرآنية، تجد أسماء الله الحسنى، وخصوصاً هذا الاسم الأعظم يقع هذا الموقع في كثير من الجمل القرآنية؛ لينساب نورها الغامر في القلوب، وتشيع مدلولاتها، فتتمكن من النفوس زيادة تمكن، وتتقرر في السرائر أحسن قرار، وبذلك تتربى مهابة الحق وحده في الأمة التي يربيه القرآن، فلا يكن في صدرها خشية إلا لله وللحق“^(١).

وفي ثنايا كلام المفسرين وحديثهم عن لطائف الآيات القرآنية يلوح لك هذا الأسلوب، ويبدو ظاهراً جلياً، بل هو ميدانٌ رحبٌ يبرز فيه المفسرون علومهم، ويعملون فيه أذهانهم، فتقف من خلال كلامهم على هذا الأسلوب العظيم على بلاغةٍ جليلٍ قدرها رفيعٌ مقامها؛ لتدرك من وراء هذا أنه كلام الله عز وجل.

يقول الزمخشري في معرض كلامه على تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ هُمْ شُهَدَاءُ كُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٠).

(١) خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني (ص: ٢٤٧).

يقول: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِمَا يَتَّبِعُونَ﴾ من وضع الظاهر موضع المضممر للدلالة على أن من كذب بآيات الله وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير؛ لأنه لو اتبع الدليل لم يكن إلا مصدقا بالآيات موحدًا لله تعالى^(١).

فهذا أحد أساطين البيان وأرباب البلاغة يثبته كأحد أساليب القرآن الكريم، بل ويتلمس الحكم البديعة والنكت الأنيقة المستنبطة منه.

وهكذا نجد هذا الأسلوب في مواضع من البحر المحيط والدر المصون، وحسبك بهذين الرجلين علما وفضلاً، لاسيما وهما من أرباب البلاغة، وأعلام الفصاحة.

ونجد أن من المفسرين من أكثر من ذكر هذا النوع، كالبقاعي^(٢)، ولا أبالغ إن قلت: لعله أكثر المفسرين ذكراً لها، حيث ورد ذكره عنده في قرابة ثمانين موضعاً.

كما نجد من العلماء المعاصرين من له عناية بهذا الأسلوب وتلمس فوائده، واستخراج حكمه، كابن عاشور^(٣) وابن عثيمين^(٤).

وممن رأيت له من المتأخرين عناية بالغة بهذا الأسلوب الشيخ صديق حسن خان في تفسيره، فقد ذكر جملة صالحة منه، ونوه على جملة طيبة من فوائده استعماله^(٥).

وكذا قبله أبو السعود^(٦) والألوسي^(٧).

(١) في نظم الدرر، انظر مثلاً: (١٠١/١)، (١٢٣/١)، (١٠٩/٢)، (٢٨٦/٣)، (٢٧٩/٤).

(٢) درس هذا الأسلوب عند ابن عاشور في تفسيره إلى نهاية سورة آل عمران في رسالة ماجستير للطالب: محمد إدريس أبكر، بعنوان: "الإظهار في مقام الإضمار في تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة آل عمران جمعاً ودراسة"، وليت الباحث ذكر أغراض هذا الأسلوب عند الطاهر ابن عاشور.

(٣) انظر مثلاً: تفسير سورة البقرة (٢٠١/١)، (٢٩٠/١)، (٣١٥/١)، (١١١/٢)، (٣١٠/٢)، تفسير سور الحجرات - الحديد (ص: ٢٠٠).

(٤) فقد ذكره في "فتح البيان" في خمسة وعشرين موضعاً تقريباً، انظر مثلاً: (١٧٨/١)، (٤٠٠/١)، (٢١٦/٢)، (٢٦٩/٢)، (١٤٤/٣)، (٨٥/٤)، (١٣٠/٤)، (٣٤٠/٥)، (٣٤٦/٥)، (١٥٧/١١).

(٥) في أكثر من سبعين موضعاً، انظر مثلاً: إرشاد العقل السليم (٦١/١)، (٢٠٠/١)، (١٣٤/٣)، (١٥٥/٣)، (١١٢/٤)، (١١٠/٦).

(٦) (١٣٥/٦)، (٣٦٨/٨).

(٧) في أكثر من تسعين موضعاً، انظر مثلاً: روح المعاني (٢٠١/١)، (٥١٥/١)، (١٨٣/٢)، (١٨٣/٢)، (٣٨٢/٢)، (٢٦٧/٤)، (٦/٥)، (٣٣٤/٥)، (١٥٧/٦).

ولو ذهبنا نتتبع مواضع وروده عند المفسرين لطال بنا المقام، لكن، حسبك من القلادة ما يحيط بالعنق.

قال العلامة ابن القيم: "يجوز إقامة الظاهر مقام المضمّر، وقد ورد في القرآن وكلام العرب كثيراً، فإنَّ الله تعالى قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (البقرة: ١٩٦)، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنفال: ٦٩)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ يَدَهُمْ إِيَّاهُ فَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (الأعراف: ١٧٠) (١).

لكن يشكل على هذا أن الطبري - رحمه الله - عدَّ هذا الأسلوب من الشواذ، فإنه لما عرض لسبب ذكر اسمه سبحانه في قوله تعالى: ﴿وَالِلَّهِ الْمُلْكُ الْأَوَّلُ﴾ (آل عمران: ١٠٩) مع أنَّه ذكر أولاً في قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ذكر قول من قال: هذا إظهار في موضع الإضمار، ثم رفضه - رحمه الله - ورجح غيره، فقال: "هذا القول الثاني عندنا أولى بالصواب؛ لأن كتاب الله تعالى لا يؤخذ معانيه، وما فيه من البيان إلى الشواذ من الكلام والمعاني وله في الفصح من المنطق والظاهر من المعاني المفهوم وجه صحيح موجود" (٢).

ولم يكن الطبري أكثراً من ذكر هذا الأسلوب حتى نتبين على وجه الدقة موقفه الصحيح من هذا الأسلوب.

وكلامه هذا يحتمل أنه لا يرى هذا الأسلوب فصيحاً، ويحتمل أيضاً أنه أراد في خصوص هذا الموضع وما شابهه، لا سيما وأن الطبري ذكر هذا القول واستشهداهم بالبيت:

لا أرى الموت يسبق الموت شيء نغص الموت ذا الغنى والفقير (٣).

(١) مدارج السالكين (٤٤١/٣).

(٢) جامع البيان (٣٠٣/٢).

(٣) البيت لعدي بن زيد بن حماد بن زيد من بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم، كما في شرح ديوان الحماسة (ص: ٨٨)، أمالي ابن الشجري (٣٧٠/١)، خزائن الأدب للبغدادي (٣٨١/١).

وقد انتقد هذا البيت، حتى قال الراغب الأصفهاني:

”فقد استقبح في باب البلاغة تكرير اللفظة الواحدة في الجملة الواحدة، حتى استرذل قول الشاعر” ثم ذكره^(١).

على أن الآية تخالف البيت، فليس بابهما واحداً، فالآية فيها جملتان، وهنا يحسن الإظهار، وهو الأصل؛ لاستقلال الجمل، وأما البيت، فالموت كلمة واحدة تكررت، فهذا وضع للظاهر موضع المضمّر.

وأما المصنفون في علوم القرآن، فقد ذكروا هذا الأسلوب كأحد أساليب القرآن الكريم في الخطاب، ويأتي في مقدمة هؤلاء سليمان بن عبد القوي الطوفي الحنبلي، في كتابه ”الإكسير في علم التفسير“^(٢) فيتناول هذا الأسلوب تناولاً موجزاً سريعاً في ”النوع الحادي عشر: في وضع الظاهر موضع الضمير تعظيماً أو تحقيراً“.

ثم يأتي العلامة الزركشي صاحب البرهان، فيذكره في النوع السادس والأربعين من أنواع علوم القرآن في ذكر ما تيسر من أساليب القرآن وفنونه البليغة، فذكر أسلوب التأكيد، ثم قسم التأكيد إلى ثمانية وعشرين قسمًا، كان أحدها: القسم التاسع: وضع الظاهر موضع المضمّر.

فهو إذاً داخل في التأكيد، وعليه؛ فمن أبرز فوائده التأكيد.

ويلحظ في طرق الزركشي لهذا النوع استيعابه لأفراده وجزئياته، بحيث لا تجد أحداً—حتى من البلاغيين— طرح هذا الموضوع، وأفاض فيه كما أفاض الزركشي^(٣).

(١) تفسير الراغب الأصفهاني (١/١٦٤).

(٢) (ص ٢٤٤).

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/٨٢٤).

وأما السيوطي، ففي معترك الأقران^(١): ذكره في الوجه السادس والعشرين من وجه إعجاز القرآن الكريم: (إيجازه في آية وإطنابه في أخرى)، ثم قسم الإطناب إلى قسمين: بسط وزيادة، ثم جعل قسم الزيادة على عدة أنواع، منها:

النوع الثالث عشر: وضع الظاهر موضع المضمّر.

فأدرجه ضمن أنواع الإطناب.

وهكذا صنع في الإتيان^(٢) حيث جعله نوعاً من أنواع الإطناب بالزيادة.

وهو بهذا يأخذ برأي الزركشي بأنّ حقه أن يذكر في باب الإطناب.

وهكذا نجد هذا النوع موضع اهتمام عند المصنفين في علوم القرآن ومن آخرهم

الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين حيث أورده في كتابه: "أصول التفسير"^(٣).

وكون المصنفين في علوم القرآن يدرجونه في كتبهم، فهذا إثبات له كواحد من

أساليب القرآن الكريم.

وأما كون هذا الأسلوب أحد أساليب العرب في منثور كلامها وشعرها، فأمر لا مرية

فيه، وكتب البلاغة التي أخذ أربابها على عواتقهم تدوين الأساليب العربية قد أوردته في

ثناياها، وسطرته في عناوينها، وهكذا نجد المصنفين في النحو يثبتون هذا كأسلوب

جرى عليه العرب.

قال الزجاج: "والعرب إذا جرى ذكر شيء مفخم أعادوا لفظه مظهراً غير مضمّر،

أنشد النحويون قول الشاعر:

لا أرى الموتَ يَسْبِقُ الموتَ شيءٌ... نَعَصَ الموتُ ذا الغنى والفَقِيرَا.

(١) (٢٧٤/١).

(٢) الإتيان في علوم القرآن (٣/٢٤٤).

(٣) أصول في التفسير (ص: ٥٧).

فأعادوا ذكر الموت؛ لفخامة^(١) في نفوسهم^(٢).

قال الواحدي: "والعرب تظهر الكنايات توكيداً"^(٣).

وقال: "والعرب إذا فخمت أمراً جعلت العائد عليه إعادة لفظه بعينه"^(٤).

ولما عرض ابن الزبير الغرناطي^(٥) لسبب تكرار لفظة الميزان في أول سورة

الرحمن، قال:

"كرر لفظ الميزان جرياً على عادة العرب فيما لها به اعتناء وتهمم، كقول

الخنساء^(٦):

وإن صخرأ لوالينا وسيدنا ... وإن صخرأ إذا نشتو لنحار

وإن صخرأ لتأتم الحداة^(٧) به ... كأنه علم في رأسه نار

فكررت ذكر صخر ثلاث مرات ظاهراً غير مضمّر، وكقول آخر:

لأرى الموت يسبق الموت شيء ... نغض الموت ذا الغنى والفقير

فكرر لفظ الموت ثلاث مرات في بيت واحد، وقال^(٨):

ليت الغراب غداة ينعب دائباً ... كان الغراب مقطع الأوداج

(١) هكذا في المطبوع، ولعله: لفخامته.

(٢) معاني القرآن وإعراجه للزجاج (١/٤٥٥)، وانظر: شرح ديوان الحماسة (ص: ٨٨)، زاد المسير (١/١٧٥).

البحر المحيط (٢/٢٨٨)، الدر المصون (١/٣٨١)، العذب النмир (١/١١٩).

(٣) التفسير البسيط (٢/٥٦٣)، وانظر منه (٥/١١٦).

(٤) التفسير البسيط (١٢/١٨٦).

(٥) أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، ثقة فاضل، كثير المعرفة للنحو والقراءات، مولده في سنة

سبع وعشرين ستمائة، ومات سنة ثمان وسبعمائة بغرناطة.

انظر: ذيل التقيد في رواة السنن والأسانيد (١/٢٨٩)، معجم المفسرين (١/٢٦).

(٦) انظرها في التعازي والمراثي (ص: ١٢٣)، الكامل في اللغة والأدب (٤/٤٠)، خزانة الأدب (٨/١١٢).

(٧) هكذا في المطبوعة، بينما في المصادر: الهداة.

(٨) البيت لجريز، انظر: ديوانه (ص: ٧٣)، خزانة الأدب (٤/١٦٢).

وهذا موجود في كلامهم كثيراً إذا قصدوا الاهتمام والاعتناء والتهويل والاستعظام^(١).

يقول العلامة الشنقيطي: "ونظائر هذا كثيرة في كلام العرب"^(٢).

وقد أورد ابن الحاجب سؤالاً وأجاب عنه ألا وهو: لم ذكر الله كلمة النار مكررة في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (السجدة: ٢٠) فلم لم يستغن بالضمير عن الظاهر؟ ويقول: ذوقوا عذابها؟.

فقال -رحمه الله-: "الجواب من وجهين: أحدهما:

أن سياق الآية التهديد والتخويف وتعظيم الأمر، وفي ظاهر لفظ النار من ذلك ما ليس في الضمير، ومثل ذلك في جعل الظاهر موضع الضمير لغرض في مساق الكلام، وإن اختلف المساقان، قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُضْلِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٧٠) و﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (الكهف: ٣٠)، ومثل ذلك في القرآن كثير"^(٣).

فأنت ترى كيف أثبت هذا الإمام العربي هذا الأسلوب وخرّج عليه الآية الكريمة. لكن، لابد من العلم أن هذا الأسلوب لا يستساغ استعماله من دون فائدة؛ لأنه خروج عن الأصل، وبعد عن القاعدة، فإذا كانت ثمة فائدة داعية إليه، وإلا رغب عنه. وفي كتب البلاغة نجد هذا الأسلوب ظاهراً، فنجد في قسم المعاني في باب المسند إليه ذكراً لهذا الأسلوب، لما له من تعلق ظاهر بحال المسند إليه، كما نلاحظ فيه خروجاً

(١) ملاك التأويل (٤٦٢/٢).

(٢) العذب النмир (١٢٠/١).

(٣) أمالي ابن الحاجب (١٥٢/١) بتصرف يسير، وانظر: من الأمالي (٨٢٩/٢).

عن الأصل، لهذا، فالبعض من المؤلفين أدرجه ضمن: الخروج عن الظاهر في باب المسند إليه^(١).

يقول الشيخ محمد أبو موسى:

”لحظ البلاغيون أن دراسة وضع المظهر موضع المضر وعكسه، ودراسة الالتفات تتصل بباب المسند إليه؛ لأنها من أحواله، فألحقوها بهن، كما لاحظوا أن أساليبها مما لا تجري على مقتضى المقررات المتعارفة، وإنما هي ضروب من المخالفة، فترجموا لها بخروج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر“^(٢).

* * *

(١) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة (٨٢/٢)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (٢٦٥/١)، علوم البلاغة للمراغي (ص: ١٤٣)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح (١٣٥/١)، البلاغة العربية (٥٠٧/١).

(٢) خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني (ص: ٢٤١).

المبحث الثالث: فوائد وضع الاسم الظاهر موضع الضمير.

مما لا شك فيه أنَّ لهذا الأسلوب فوائد كثيرة، فما تركت العرب الأصل، وخرجت عن القاعدة إلا لتطلب معنى لا يتحصل إلا بهذا الأسلوب، ذلك؛ لأنَّ الكناية والتعريض لا يعملان في العقول عمل الإفصاح والتكشيف^(١).

يقول عبد القاهر الجرجاني:

”ولهذا الذي ذكرنا من أنَّ للتصريح عملاً لا يكون مثل ذلك العمل للكناية، كان لإعادة اللفظ في مثل قوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ (الإسراء: ١٠٥) وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١) ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (الإخلاص: ١-٢) من الحسن والبهجة، ومن الفخامة والنبيل، ما لا يخفى موضعه على بصير.

وكان لو ترك فيه الإظهار إلى الإضمار فقليل: ”وبالحق أنزلناه وبه نزل:” و”قل هو الله أحد هو الصمد” لعدمت الذي أنت واجده الآن^(٢).

وصدق -رحمه الله-.

ولما سئل أبو العباس ابن تيمية -رحمه الله- عن سبب تكرار كلمة القتال في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ (البقرة: ٢١٧) ولم لم يقل سبحانه: هو كبير؟ فأجاب بقوله:

”في إعادته بلفظ الظاهر بلاغة بديعة^(٣).”

ويقول ابن عاشور: ”الاسم الظاهر أنفذ في السمع وأجلب للتنبيه^(٤).”

ولنذكر ما ذكر من فوائد لهذا الأسلوب، فمنها:

(١) البيان والتبيين (١/ ١١٥).

(٢) دلائل الإعجاز (ص: ١٧٠).

(٣) مجموع الفتاوى (٨٨/ ١٤).

(٤) التحرير والتنوير (١٤٧/ ٢٦).

الأول: إلقاء المهابة في نفس السامع، ويمثل له بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ (النحل: ٩٠)، فلم يقل جل شأنه: إني أمر بكذا، مع أنه هو الأمر -جلّ في علاه-، ولكنه أظهر اسمه الذي هو أعرف المعارف، ووضعه مكان ضمير المتكلم؛ لتحضر لدى السامع مهابته، وتتجلى عظمته، فينساق إلى أمر الله، ويخضع إلى إرشاده^(١).

والملوك تتمثل هذا الأسلوب عند الحاجة إليه، فيقول أحدهم: إن الأمير أو الملك يأمركم بكذا.

واقراً -متدبراً- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (البقرة: ٢١١) لماذا أعاد لفظ الجلالة في قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ولو استعمل الضمير -جريا على الأصل- لقال: فإنه شديد العقاب؟! ذلك: لإدخال الروع في ضمير السامع، وتربية المهابة^(٢).

وهكذا نجد هذه العلة حاضرة في قوله سبحانه: ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْفُرُوا﴾ (البقرة: ٢٨٣)^(٣).

وتأمل كيف أعاد الله جل ذكره اسمه العظيم في قوله: ﴿أَفَمِنْ أُنْتِجَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ يَسْخَطُ مِنَ اللَّهِ﴾ (آل عمران: ١٦٢) ولم يقل: كمن باء بسخطه، ذلك؛ لأن في الإظهار ما ليس في الإضمار من إلقاء الهيبة وإدخال الروعة في نفس السامع والتالي لهذه الآية الكريمة^(٤).

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (٤٩٠/٢)، معترك الأقران (٢٧٥/١).

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم (٢١٣/١)، روح المعاني (٤٩٤/١)، فتح القدير (٢٤٣/١)، التحرير والتنوير (٢٩٣/٢).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١٢٥/٣).

(٤) إرشاد العقل السليم (١٠٧/٢)، روح المعاني (٣١٥/٢).

الثاني: التلذذ بذكر الاسم الظاهر، ولا يتحصل هذا لو ذكر الضمير، ولعل من أبرز أمثلة هذا المقصد ما نجده في كتاب ربنا تبارك وتعالى من تكرار اسمه تعالى، فأحياناً يكرر ثلاث مرات، كما في آية الدين: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَ كُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٨٢) فما شيء في الوجود أجمل من اسمه الكريم سبحانه، فمن أجمل الحكم التلذذ باسمه العظيم.

يقول أبو السعود في تكرار لفظ "ربي" في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (الأنعام: ٨٠)، يقول: "وفي الإظهار في موضع الإضمار تأكيد للمعنى المذكور واستلذاذ بذكره تعالى" (١).

وهكذا تكرار اسمه: "الله" في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: ٥١) حيث لم يقل سبحانه: وعليه فليتوكل المؤمنون، مع أنه سبق ذكر اسمه تعالى، ولكن أظهر اسمه لهذه الحكمة البالغة ولغيرها من الحكم (٢).

ومثلوا له أيضاً: بقول ربنا جل شأنه: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ (الزمر: ٧٤).

قال الزركشي: "ولم يقل: منها، ولهذا عدل عن ذكر الأرض إلى الجنة، وإن كان المراد بالأرض الجنة، والله در القائل (٣)؛

كرر على السمع مني أيها الحادي ذكر المنازل والأطلال والنادي" (٤).

(١) إرشاد العقل السليم (١٥٥/٣).

(٢) إرشاد العقل السليم (٧٣/٤)، روح المعاني (٣٠٦/٥)، الجدول في إعراب القرآن (٣٥٨/١٠).

(٣) لم أجده.

(٤) البرهان في علوم القرآن (٤٨٧/٢)، الإتقان في علوم القرآن (٢٤٦/٣)، معترك الأقربان (٢٧٥/١).

ومن هذا: ذكر العزة في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ (فاطر: ١٠) ولم يقل سبحانه: من كان يريد العزة فهي لله، بل أظهر وأبرزها، فإن العزة لفظ شريف ومعنى كريم، تستلذه النفوس الأبية وتستطيبه القلوب الزكية^(١).

الثالث: التنبيه على علة الحكم.

وهذا أحد أهم أغراض هذا الأسلوب، وأجل مقاصده، وستجدها تتكرر في ثنايا البحث، فإذا ما كان هناك ذكر لثواب أو عقاب وعلق على وصف أفاد هذا علية الوصف لذاك الثواب أو العقاب، ولهذا أمثلة كثيرة، منها:

قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ (البقرة: ٥٩). فلم يقل سبحانه: فأنزلنا عليهم، لبيان العلة التي استحقوا لأجلها نزول الرجز من السماء.

وقوله: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: ٣٢).

وقوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمُ بِالمُفْسِدِينَ﴾ (آل عمران: ٦٣).

قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: "الحكم إذا علق بوصف دل على علية ذلك الوصف فيه"^(٢).

الرابع: قصد التعظيم.

فمن أغراض هذا الأسلوب إظهار عظمة المذكور، فيبرز الاسم ويغتنر تكراره بجانب تحصيل هذا المقصد الكريم، وهذا من أكثر مقاصد هذا الأسلوب وروداً. ألم تر إلى سورة الإخلاص، وكيف كرر الله اسمه العظيم، وكان ذلك لمناسبة تقتضي ذلك؛ ذلك أن المشركين سألوا النبي صلى الله عليه وسلم سؤال تعنت: يا محمد

(١) البرهان في علوم القرآن (٤٨٧/٢)، ولم أجد من ذكر هذا المعنى سوى الزركشي.

(٢) تفسير سورة آل عمران (٢٠٠/١).

انسب لنا ربك، فنزلت السورة الكريمة، مكرراً فيها اسم الله، ليتحصل عند السامع عظمة من تسمى به.

وانظر كيف استفيد تفخيم شأن القارعة والحاقة من تكرار لفظيهما، وما كان هذا ليتأتى لو استعمل الضمير.

قال الواحدي: "والعرب إذا فخمت أمراً جعلت العائد عليه إعادة لفظه بعينه"^(١). بل إن بعضهم منع من إظهار الضمير إلا لغرض التعظيم، قال ابن عطية: "ولا يجوز إظهار الاسم إلا في المعاني الفخمة في النفوس من التي يؤمن فيها اللبس على السامع"^(٢).

وهذا القصر ليس بصحيح، فأغراض هذا الأسلوب كثيرة معلومة في كتب البلاغة وفي كتب علوم القرآن^(٣).

ومن الأمثلة أيضاً على هذا المقصد: قراءة "كلمة" الثانية بالنصب^(٤) من قوله تعالى:

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾

(التوبة: ٤٠) وهي -بناء على هذه القراءة- من إقامة الظاهر مقام المضمَر، لأن الأصل أن يقال: وكلمته هي العليا.

(١) التفسير البسيط (١٨٦/١٢)، وانظر: الإكسير (ص: ٢٤٤).

(٢) المحرر الوجيز (٤٨٨/١).

(٣) انظر: التذيل والتكميل في شرح كتاب التسهيل (٣٢/٤).

(٤) هي قراءة يعقوب. انظر: معاني القراءات للأزهري (٤٥٣/١)، المبسوط في القراءات العشر (ص: ٢٢٧)، الكشف والبيان (٤٨/٥)، التفسير البسيط (٤٤٤/١٠)، النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٧٩)، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (ص: ١٣٦).

وقد انتقد بعضهم هذه القراءة، وقال: فيها ضعف؛ لأن فيها وضعاً للظاهر موضع المضمّر^(١).

فأجاب عن هذا السمين الحلبي وغيره من العلماء، قال السمين الحلبي: بأنه "لا ضعف فيه؛ لأن القرآن ملآن من هذا النوع، وهو من أحسن ما يكون؛ لأن فيه تعظيماً وتفخيماً"^(٢).

فأقيم الظاهر مقام المضمّر؛ لأجل التعظيم.

الخامس: قصد الإهانة والتحقير.

ومثّلوا له بقوله تعالى: ﴿أَسْتَحْذِرُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (المجادلة: ١٩).

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (الإسراء: ٥٣). واختار بعضهم في سبب قوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا نَبَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾ (الكهف: ٧٧)، ولم يقل: "استطعمهم"، أنه "للتحقير، وهو أحد نكات إقامة الظاهر مقام الضمير"^(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتُ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ (الزمر: ١٩) إظهار للضمير حيث قال تعالى:

﴿أَفَأَنْتُ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ ولم يقل: أفأنت تنقذه، والحكمة – والعلم عنده تعالى – إظهار حقارة هؤلاء؛ حيث ذكر دارهم النار وبئس القرار، قال ابن عطية: "وأظهر الضمير العائد، تشهيراً لهؤلاء القوم، وإظهاراً لخسة منازلهم"^(٤).

(١) انظر: التفسير البسيط (١٠/٤٤٤)، التبيان في إعراب القرآن (٢/٦٤٥)، فتح القدير (٢/٤١٤)، روح المعاني (٥/٢٩٠).

(٢) الدر المصون (٦/٥٣)، وانظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/١١٩)، اللباب في علوم الكتاب (١٠/٩٧).

(٣) انظر: روح المعاني (٨/٣٢٨)، الإكسير (ص: ٢٤٤).

(٤) المحرر الوجيز (٤/٥٢٦).

السادس: قصد العموم.

من المقاصد المستفادة من هذا الأسلوب إرادة العموم، فحينما يعدل عن الضمير إلى الاسم مع ذكره سابقاً، فهذا يفيد العموم المستفاد من الوصف أو عموم الألف واللام، خذ مثلاً قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ط فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: ٣٢). لم يقل سبحانه: فإن الله لا يحبهم، بل قال: ﴿لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾؛ ليدل على أن الله يحب عموم الكافرين.

ويضيف الزركشي مثلاً، وهو قوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنْبَأَ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا﴾ (الكهف: ٧٧). قال:

"ولم يقل: "استطعمهم"، للإشعار بتأكيد العموم، وأنهما لم يتركا أحداً من أهلها إلا استطعماه وأبى"^(١).

وهذه نكتة لطيفة.

وفي الآية بحث^(٢).

وانظر قوله تعالى: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ (البقرة: ٢٥٨) لم لم يقل تعالى: "فبهته"؟ ولماذا أظهر جل وعلا الوصف، وهو الكفر؟ قال الشيخ ابن عثيمين عند الكلام على فائدة هذه الآية:

"ومنها: إثبات أن من جحد الله فهو كافر؛ لقوله تعالى: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾، وهذه هي النكتة في الإظهار مقام الإضمار؛ لأجل أن نقول: كل من جادل كما جادل هذا الرجل فهو كافر"^(٣).

(١) البرهان في علوم القرآن (٤٩٤/٢) وانظر: إعراب القرآن وبيانه (٩/٦)، روح المعاني (٢٢٧/٨).

(٢) انظر: روح المعاني (٣٢٨/٨).

(٣) تفسير سورة الفاتحة والبقرة (٢٨٥/٣).

وأمثلة هذا المقصد كثيرة.

السابع: قصد الخصوص.

ومثلوا لهذا بقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُ مُّؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ (الأحزاب: ٥٠) ولم يقل سبحانه: إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِكُلِّ، مع أَنَّ الخطاب كله مع النبي صلى الله عليه وسلم والآية صدرت بقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنْ أَحَلَّ لَنَا لَكَ﴾ (الأحزاب: ٥٠) والسرُّ في هذا - والعلم عند الله تعالى - ما أبداه الزجاج بقوله:

قال الزجاج: "وإنما قيل: 'لِلنَّبِيِّ' ههنا؛ لأنه لو قيل: 'إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِكُلِّ' كان يجوز أَنْ يتوهم أَنْ في الكلام دليلاً أَنَّهُ يجوز ذلك لغير النبي عليه الصلاة والسلام، كما جاز في قوله: ﴿وَبَنَاتِ عِمَّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ﴾ (الأحزاب: ٥٠)؛ لأن بنات العم وبنات الخال يحللن للناس" (١).

هكذا قال الزجاج ومثَّل به الزركشي، وتبعه السيوطي، ولم يذكر سوى هذا المثال، غير أَنَّهُ لا يليق المطلوب؛ ذلك أَنَّ دلالة الخصوص جاءت من قوله تعالى: ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأحزاب: ٥٠) وليس من لفظ النبي عليه الصلاة والسلام، ولفظ النبي عليه الصلاة والسلام لا يفيد الخصوصية، وكيف يفيدها، وهو قدوة الأمة وإمامها؟! وكم من حكم وجه للنبي عليه الصلاة والسلام، ولم يفد اختصاصه بذلك الحكم، كقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ أَوْ أَتَى اللَّهَ وَلَا تَطْعَمُ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ (الأحزاب: ١) و﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ (الطلاق: ١)، فليست هذه أحكام خاصة به عليه الصلاة والسلام، بل هي له ولأُمَّته.

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٣٣/٤)، وانظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٥٨٥٥/٩)، زاد المسير (٤٧٤/٣)، البرهان في علوم القرآن (٤٩٥/٢)، الإتقان في علوم القرآن (٢٤٧/٣)، معترك الأقران (٢٧٦/١)، قواعد التفسير (٣٤١/١).

وأحسن مما ذكره أن يقال: لما طال الفصل حسن إبراز اللفظ، ثم الاستئناف - ﴿وَأَمْرًا مُؤَمَّنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ (الأحزاب: ٥٠) - يؤكد استعمال الاسم ظاهراً، على أن ابن عاشور قد أحسن في إبداء المناسبة لاستعمال لفظ النبي بدل الضمير، فقال: "والغرض من هذا الإظهار ما في لفظ النبيء من تزكية فعل المرأة التي تهب نفسها بأنها راغبة لكرامة النبوة"^(١).

ويمكن أن نمثل لهذا الغرض بقوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (البقرة: ٥٩). فأظهر الذين ظلموا - الثانية - ولم يقل: فأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ، والسر في ذلك - والعلم عند الله تعالى - بيان أن نزول الرجز كان خاصاً على الظالمين فقط، ولم يعم جميع بني إسرائيل^(٢).
الثامن: إزالة اللبس.

استعمال الاسم أنفى للاحتمال، وأقطع للظن، بخلاف الضمير، فإنه محتمل، خاصة إذا ذكر أكثر من علم، ومثال هذا: قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ (البقرة: ٢١٧). فكرر "قِتَالٌ فِيهِ"، ولم يقل سبحانه: قل هو كبير، حتى لا يظن أن الشهر الحرام هو الكبير، فالإظهار أنفى لللبس^(٣).

وانظر قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (الإسراء: ٧٨) فذكر سبحانه قرآن الفجر في الثانية؛ ليدل على أنه هو المراد بكونه مشهوداً، لكن لو قال: وقرآن الفجر إنه كان مشهوداً، لاحتمل أن يعود الضمير إلى الفجر^(٤).

(١) التحرير والتنوير (٦٩/٢٢).

(٢) وهذه الآية هي الآية الأولى ضمن آيات البحث.

(٣) إرشاد العقل السليم (٢١٧/١)، التحرير والتنوير (٣٢٥/٢).

(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن (٤٨٩/٢).

وتأمل قوله تعالى: ﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَنَ السَّوْءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ (الفتح: ٦) ، فلو قال سبحانه: عليهم دائرته، لأوهم عود الضمير على الله تعالى، أما وقد ذكر "السَّوْءَ" -مع كونه مذكوراً قبل- فلا احتمال^(١).

التاسع: الحكم على مرجعه بما يقتضيه الاسم الظاهر.

والمراد بهذا: أن الاسم الظاهر قد يحمل وصفاً كالإيمان والكفر والظلم، فحينما يذكر ثانية يفيد اتصاف من يعود عليه بما دلت عليه الصفة. وهذا يتضح أكثر بضرب المثال، فمثلاً:

قوله تعالى: ﴿وَعِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ﴾ (ص: ٤)، لم يقل تعالى: وقالوا هذا ساحر كذاب، مع أن الكلام في الكافرين؛ ليدل تعالى على أن من قال هذا القول كان كافراً، وأن هذا لا يصدر إلا من كافر.

ومثّل له العلامة العثيمين بقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٩٨)، قال: "ولم يقل: فإن الله عدو له، فأفاد هذا الإظهار:

الحكم بالكفر على من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكايل"^(٢).

العاشر: الإنكار.

من مقاصد هذا الأسلوب إنكار قول أو فعل، وذلك بنسبته صريحاً إلى الكفر أو الظلم أو الفسق.

ولهذا أمثلة كثيرة، والمثال السابق صادق عليه، ومن أمثلته أيضاً:

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/٤٨٩)، الإتقان في علوم القرآن (٣/٢٤٥)، معترك الأقران (١/٢٧٥).

(٢) شرح أصول التفسير (ص: ٣٧٩).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ أَيْتَانِيْتَنِي قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ مَا كَانُوا يَعْبُدُ آبَاءَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرٍ ۚ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (سبأ: ٤٣) لم يقل إلهنا جل شأنه: وقالوا للحق لما جاءهم، كما في الجملتين السابقتين، إيداناً بفضاعة ما قالوا، وإنكاراً لما به فاهوا، قال الزمخشري:

”وفي قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وفي أن لم يقل: وقالوا، وفي قوله: ﴿لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ وما في اللامين من الإشارة إلى القائلين والمقول فيه، وفي ﴿لَمَّا﴾ من المبادهة بال كفر: دليل على صدور الكلام عن إنكار عظيم، وغضب شديد، وتعجيب من أمرهم بليغ، كأنه قال: وقال أولئك الكفرة المتمردون بجراءتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل أن يذوقوه ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾^(١).

واختصر هذا صديق حسن، فقال: ”وفي تكرير الفعل والتصريح بالفاعل إنكار عظيم له، وتعجيب بليغ منه“^(٢).

الحادي عشر: تمكين المعنى في نفس المخاطب.

سبق وأن ذكرت أن الزركشي ذكره كنوع من أنواع التوكيد، وعلى هذا، فمن مقاصده التوكيد، ومعلوم أن التوكيد يوجب تمكين المعنى من نفس السامع. وقد نص على هذا المقصد المصنفون في البلاغة وعلومها^(٣). يقول الواحدي: ”والعرب تظهر الكنايات توكيداً“^(٤).

(١) الكشاف (٥٨٨/٣)، وانظر: السراج المنير (٣٠٦/٣)، إرشاد العقل السليم (١٣٨/٧)، التحرير والتنوير (٢٢٧/٢٢)، التفسير المنير (٢٠٦/٢٢).
(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن (٢٠٥/١١).
(٣) انظر: مفتاح العلوم (ص: ١٩٨)، الإيضاح في علوم البلاغة (٨٤ / ٢)، بغية الإيضاح (١٣٦/١).
(٤) التفسير البسيط (٥٦٣ / ٢).

وهذا ما أشار إليه ابن عاشور حيث قال: للإظهار في مقام الإضمار زيادة تقرير للخبر في ذهن السامع^(١).

ومن أمثلة هذا المقصد: قوله تعالى: ﴿لَيْكُنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (الكهف: ٣٨).

لما خاطب المؤمن صاحبه المشرك أراد أن يقرر في نفسه عظمة الخالق تعالى، فأنى بلفظ الرب مكرراً، ولم يأت بالضمير مع كونه الأصل.

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ﴾ (الأنعام: ٤٠) لم لم يقل سبحانه: إن أتاكم عذاب الله أو الساعة، لماذا كرر الفعل؟.

يقول ابن عاشور: "وجه إعادة فعل أتتكم الساعة مع كون حرف العطف مغنياً عن إعادة العامل بأن يقال: إن أتاكم عذاب الله أو الساعة، هو ما يُوجّه به الإظهار في مقام الإضمار من إرادة الاهتمام بالمظهر بحيث يعاد لفظه الصريح لأنه أقوى استقراراً في ذهن السامع"^(٢).

الثاني عشر: تنبيه السامع وشد انتباهه لما يقال.

إن أحد أغراض إظهار الاسم وجعله مكان الضمير استدعاء انتباه السامع. وطلب حضوره الذهني لما يقال، ذلك أن الكلام إذا كان على نسق واحد ربما ذهب ذهن، وغفل القلب، فيقل الانتفاع وربما يندعم، ولهذا لما ذكر الله في سورة ق موعظة بليغة بين أنه لا ينتفع بها إلا من أحضر ذهنه وألقى قلبه، فقال سبحانه: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: ٣٧).

(١) التحرير والتنوير (١٠/١٨) بتصرف يسير.

(٢) التحرير والتنوير (٢٢٣/٧).

قال الزمخشري: "الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد"^(١). فكان من ضروب البلاغة وألوان الفصاحة تغيير أسلوب المتكلم فلا يلزم نمطاً واحداً، وإنَّ مما يحقق هذا ما نحن فيه من إقامة الظاهر مقام الضمير. وهذا الغرض لم أر الزركشي ولا السيوطي ذكره ضمن أغراض هذا الأسلوب، وحقه أن يفرد بالذكر لأهميته، ولكثرة وجوده في القرآن الكريم، وقد علل به جمع من أهل العلم.

قال الشيخ ابن عثيمين: "وللإظهار في موضع الإضمار فوائد من أهمها: التنبيه أعني تنبيه المخاطب؛ لأنه إذا جاء الكلام على خلاف السياق انتبه المخاطب"^(٢).

وانظر مثلاً إلى قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (الفتح: ٢) كيف أظهر اسمه المقدس، معه أنه مسبوق بالذكر في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ (الفتح: ١)، لكن أبرزه لفوائد عديدة، منها هذه الفائدة، قال ابن عاشور: "وإنما أسند فعل ليغفر إلى اسم الجلالة العلم، وكان مقتضى الظاهر أن يسند إلى الضمير المستتر قصداً للتنويه بهذه المغفرة؛ لأن الاسم الظاهر أنفذ في السمع وأجلب للتنبيه، وذلك للاهتمام بالمسند وبمتعلقه، لأن هذا الخبر أنف لم يكن"^(٣).

وبعد، فهذه الأغراض البلاغية والفوائد العلمية هي كالخطوط العريضة لهذا الأسلوب، ولا يعني هذا انحصار فوائده فيما ذكر، وعدم الخروج عنها، بل يستطيع

(١) الكشاف (١/١٤)، وانظر: تفسير القرآن الكريم (الفاتحة - البقرة) للعثيمين (٢/١٩٧، ٢٧٩).

(٢) تفسير القرآن الكريم (الفاتحة - البقرة) للعثيمين (٢/٢٠٢).

(٣) التحرير والتنوير (١٤٧/٢٦).

المتأمل استخراج ما هو أكثر من ذلك، بل وربما أجل، لاسيما في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

وفي هذا البحث تصديق لهذا، حيث ذكرنا -بحمد الله- في كل آية عددا من أغراض هذا الأسلوب مما يناسب أن يقال في كل موضع بحسبه.

القسم الثاني: الآيات التي ذكر فيها وضع الظاهر موضع المضمّر.

الموضع الأول:

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (البقرة: ٥٩).

قال السيوطي -رحمه الله-:

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمّر؛ مبالغة في تقبيح

شأنهم^(١).

الدراسة:

ذكر الله تبارك وتعالى الذين ظلموا في قوله: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، ثم أعاد ذكرهم مرة أخرى في قوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، ومقتضى القاعدة العربية ألا يذكروا لفظاً بل يعاد الضمير عليهم، فيقال: فَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا، فلماذا أظهر الله في موضع الإضمار؟ وما النكتة التي لأجلها برز هذا الاسم الظاهر في هذا الموضع؟

نجد أن أهل العلم -جزاهم الله خيراً- ذكروا عدة أوجه لبيان الحكمة، ولا نزاحم بينها، والآية تسعها جميعاً، ولعل ثمت حكم أخرى لم نطلع عليها يفتح الله بها على قلوب من يشاء من عباده:

(١) تفسير الجلالين (ص: ١٣).

وأولى هذه الحكم المذكورة هي:

بيان العلة التي لأجلها أنزل الله العذاب على هؤلاء، وهي الظلم^(١)، وهذا يحمل في طيته تحذير هذه الأمة التي نزل عليها هذا الكتاب المبارك من الظلم بأنواعه؛ لئلا يصيب من ظلم منهم ما أصاب الظالمين قبلهم، فإنَّ الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً، وهذا المعنى مذكور في آيات عدة، ففي حجارة قوم لوط قال الله تعالى: ﴿مُسُومَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ (هود: ٨٣).

والله تعالى في حديثه عن الأمم كثيراً ما يعدل عند ذكر ثوابه وعقابه عن تسميتهم إلى ذكر أوصافهم، إيداناً بأن هذا الوصف هو المؤثر في الحكم، وهو المترتب عليه إحلال العقاب أو نزول الثواب.

انظر قوله تعالى: ﴿مُسُومَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ (٢٦) فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ (الذاريات: ٣٤-٣٥)، وكذا قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءً وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٢١﴾ (الليل: ١٧-٢١). مع كون هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وهذه الحكمة هي أوضح الحكم المذكورة وأقواها؛ لورودها في كتاب الله تعالى. الحكمة الثانية: إظهار قبح أفعالهم، وتهويل ظلمهم^(٢)، وهي ما ذكرها السيوطي، قال ابن المنير:

(١) انظر هذه العلة في: الكشاف (١٤٣/١)، التفسير الكبير (٥٢٥/٣)، البحر المحيط (٣٦٣/١)، غرائب القرآن (٢٩٥/١)، البرهان في علوم القرآن (٤٩٢/٢)، الإتيان في علوم القرآن (٢٤٦/٣)، معترك الأقران (٢٧٦/١)، إرشاد العقل السليم (١٠٥/١)، تفسير سورة البقرة لابن عثيمين (٢٠٢/١)، البلاغة العربية (١٠٣/٢)، خصائص التراكيب (ص: ٢٤٥).

(٢) انظر هذه العلة في: الكشاف (١٤٣/١)، التفسير الكبير (٥٢٥/٣)، التسهيل لعلوم التنزيل (٨٥/١)، البحر المحيط (٣٦٣/١)، غرائب القرآن (٢٩٥/١)، إرشاد العقل السليم (١٠٥/١)، فتح القدير (١٠٦/١).

”وفيه تهويل لظلمهم من حيث وضع الظاهر موضع المضمر، وهو مفيد لذلك، إذ هو من قبيل الإشهار لهذا المعين مع إمكان الاختصار بالإضمار^(١).

وفي كتاب الله ذكر لفئات اليهود، وشنيع أفعالهم - قبحهم الله - من قتلهم الأنبياء وكفرهم بآيات الله وغير ذلك.

الثالثة: بيان أن العذاب نزل على الظالمين ولم يتعدهم إلى غيرهم، بدليل أن هذا العصيان وذاك الظلم لم يقع من الجميع، بل من الذين بدلوا فقط، فهؤلاء كرر الله ذكرهم - والعلم عنده تعالى - ليبين أن العذاب نزل عليهم دون غيرهم.

وهذه علة بينة، وحكمة واضحة، قال ابن عاشور:

”اعتنى فيهما بالإظهار في موضع الإضمار، ليعلم أن الرجز خص الذين بدلوا القول“^(٢).

الرابع: تنبيه المخاطب؛ ”لأنه إذا جاء الكلام على خلاف السياق انتبه المخاطب“^(٣).

الخامس: التوكيد وزيادة التمكين في نفس المخاطب.

وهذه الحكمة ذكرها البلاغيون مقتصرين عليها، وشاركهم الواحد في تفسيره^(٤).

الموضع الثاني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ بَدَلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَأَنبَأَ آثِمَهُ عَلَى الَّذِينَ يَبْدُلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٨١).

قال السيوطي - رحمه الله -:

(١) الكشاف (١/١٤٣).

(٢) التحرير والتنوير (١/٥١٧)، وانظر: تفسير المنار (١/٢٦٩).

(٣) قاله الشيخ ابن عثيمين في تفسير سورة البقرة (١/٢٠٢).

(٤) انظر: التفسير البسيط (٢/٥٦٣)، مفتاح العلوم (ص: ١٩٨)، الإيضاح في علوم البلاغة (٢/٨٤)، بغية

الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (١/١٣٦).

”فَمَنْ بَدَّلَهُ“ ”أَيَّ الْإِصْءَاءِ مِنْ شَاهِدٍ وَوَصِيٍّ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ“ ”عَلِمَهُ“ ”فَإِنَّمَا إِثْمُهُ“ ”أَيَّ: الْإِصْءَاءِ الْمُبْدَلِ“ ”عَلَى الَّذِينَ يَبْدُلُونَهُ“ ”فِيهِ إِقَامَةُ الظَّاهِرِ مَقَامَ الْمَضْمَرِ“^(١).

الدراسة:

أراد -رحمه الله- أن الله جلَّ شأنه ذكر المبدلين للوصية، ثم ذكر تأييدهم فذكرهم بالاسم الظاهر لا الضمير، والقاعدة: أن الاسم إذا ذكر أولاً أغنى ذكر الضمير عن إعادته، وعليه، فيكون نسق الجملة: فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه عليهم، لكن الكلام في هذه الآية الكريمة خرج عن هذه القاعدة كما ترى.

وقد سبقه أبو حيان وابن عرفة^(٢) إلى التنبيه على هذا الأسلوب البلاغي، ووافقه الخطيب الشربيني وأبو السعود والألوسي وبعض المعاصرين^(٣).

فما الحكمة من وراء هذا الأسلوب، ولماذا عدل ربنا عن ذكر الضمير إلى ذكر الاسم الموصول؟

لعل من الحكم^(٤) -والعلم عنده تعالى-:

التنبيه على علة التأييد وهي تبديل الوصية عن وجهها الشرعي، فيحذر المسلم من هذا العمل الذي يوجب الإثم، فيتجافى عنه، ولا يقارف تبديل الوصية، بل يكون منها على وجل.

العناية بشأن الوصية ووجوب تأديتها كما سمعت.

(١) تفسير الجلالين (ص: ٣٧).

(٢) انظر: البحر المحيط (١٦٦/٢)، تفسير ابن عرفة (٢١٨/١).

(٣) انظر: السراج المنير (١١٧/١)، إرشاد العقل السليم (١٩٧/١)، روح المعاني (٤٥٢/١)، الجدول في إعراب القرآن (٣٦٤/٢).

إعراب القرآن وبيانه (٢٥٩/١)، التفسير المنير للزحيلي (١١٨/٢).

(٤) انظر: البحر المحيط (١٦٦/٢)، تفسير ابن عرفة (٢١٨/١)، إرشاد العقل السليم (١٩٧/١)، حاشية الجمل على الجلالين (١٥٤/١)، روح المعاني (٤٥٢/١)، إعراب القرآن وبيانه (٢٥٩/١).

التشهير والمناداة بفضائح المبدلين، فتضر النفس المؤمنة من هؤلاء، وتأبى أن تدخل في صفهم.

ومما يمكن قوله أيضاً: إن من الحكم بيان أن الإثم خاص بمن بدل، ولا يتعداه إلى غيره كالموصي مثلاً، فإذا اتقى الموصي ربه في وصيته، ثم جاء من حرفها عن وجهها، وبديلها بعدما سمعها، فإن الإثم على هذا المبدل، وما على الموصي من شيء، فيكون فائدة الإظهار تخصيص الحكم بمن بدل.

ولعل هذه العلة من أبرز العلل وأوضحها. والعلم عند الله تعالى.
هذه بعض الحكم التي نستلهمها من هذا الأسلوب القرآني العظيم.

الموضع الثالث:

قَالَ تَمَالَى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: ٣٢).
قال السيوطي:

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمّر، أي: لا يحبهم^(١).

الدراسة:

يخبر ربنا تبارك شأنه أن من تولى عن طاعة الله ورسوله فإن الله لا يحبهم، هذا معنى الآية الكريمة، كما هو نسقها، لو استعمل الضمير، لكن لم يقل الله ذلك، بل قال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ أي أن الله أبرز الاسم الظاهر "الكَافِرِينَ" مكان الضمير وهي الهاء في يحبهم، فقال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾، وما كان هذا إلا لعله بليغة وحكمة جليلة، نسأل الله أن يفتح علينا، وقد ذكر أهل العلم -جزاهم الله خيراً- بعض الحكم، فمن ذلك:

(١) تفسير الجلالين (ص: ٧٠).

أنه سبحانه لم يقل: لا يحبهم؛ للدلالة على حكم التولي، وهو أن من تولى وأعرض عن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فقد كفر. وهذه حكمة ظاهرة.

ومن ذلك: إرادة العموم، عموم عدم محبة الله للكافرين، وأن الكافرين على تنوع مللهم، واختلاف مذاهبهم لا يحبهم الله، بل يبغضهم ويسخط عليهم، فلو أضر سبحانه لاختص عدم المحبة بمن تولى فحسب.

بيان العلة التي لأجلها لم يحبهم، وهي علة الكفر، فمن كفر، فإن الله تعالى لا يحبه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (الروم: ٤٥). قال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله -: "الحكم إذا عُلِّقَ بوصف دل على علية ذلك الوصف فيه"^(١).

وبناء على هذا؛ فالمؤمن العاصي لا يدخل في هذا الحكم؛ لأنه ليس بكافر. وهذه حكمة ظاهرة تستفاد من هذا الأسلوب العظيم. ومن الحكم - والعلم عنده تعالى - بيان محبة الله تعالى للمؤمنين، فلما أثبت عدم محبته للكافرين، دل على محبته لضعدهم، وهم المؤمنون، وإلا لأصبح المؤمن والكافر سواء في عدم المحبة، وهذا إلغاء لفائدة وصف الكافرين. وهذه المحبة محبة حقيقية تليق بجلاله سبحانه وتعالى، فلا يجوز نفيها، ولا تحريفها عن معناها.

هذه بعض الحكم التي تستفاد من الخروج عن الظاهر في ترك ذكر الضمير، وإقامة الاسم الظاهر مقامه، في حين أن الإضمار لا يفيد هذه الحكم^(١).

(١) تفسير سورة آل عمران (٢٠٠/١).

الموضع الرابع:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ (آل عمران: ٦٣).

قال السيوطي - رحمه الله -:

”﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أَعْرَضُوا عَنِ الْإِيمَانِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ فيجازيهم، وفيه وضع

الظاهر موضع المضمّر^(١).

الدراسة:

في هذه الآية الكريمة وضع للظاهر موضع المضمّر، - كما قال السيوطي - والمراد: أن الله جل شأنه قال: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ ولم يقل: فإنه الله عليم بهم، فوضع بدل الضمير الاسم الظاهر، وهو المفسدين، وقد نصّ على هذا جمع من المفسرين، منهم:

البيضاوي وأبو حيان والسمين الحلبي وابن عادل والإيجي والخطيب الشربيني وأبو السعود والألووسي والقاسمي وابن عثيمين^(٢).

وقد ذكروا بعض الحكم، فنذكرها ونزيد عليها، فنقول - وبالله تعالى التوفيق -:

من حكم ذكر الاسم الظاهر محل الضمير: الحكم على هؤلاء الذين جاءوا للنبي صلى الله عليه وسلم وناظرهم في شأن عيسى عليه السلام - وهم وفد نجران - بالفساد، إن هم تولوا وأعرضوا، وهذا لا يتأتى لو ذكر الضمير، فقال: فإن الله عليم بهم.

قال الرازي: ”فاعلم أن توليهم وإعراضهم ليس إلا على سبيل العناد فاقطع كلامك عنهم، وفوض أمرهم إلى الله، فإن الله عليم بفساد المفسدين“^(٣).

(١) انظر هذه الحكم في: أنوار التنزيل (١٣/٢) البحر المحيط (١٠٤/٣)، نظم الدرر (٣٣٩/٤)، جامع البيان للإيجي (٢٣٨/١)، حاشية محي الدين شيخ زاده على البيضاوي (٤٦/٣)، السراج المنير (١٧٣/٣)، إرشاد العقل السليم (٢٥/٢)، حاشية الشهاب علي تفسير البيضاوي (١٨/٣)، حاشية الجمل (٢٧٧/١)، روح المعاني (١٢٦/٢).

(٢) تفسير الجلالين (ص: ٧٥).

(٣) انظر: أنوار التنزيل (٢١/٢)، البحر المحيط (١٩٣/٣)، الدر المصون (٢٣١/٣)، اللباب في علوم الكتاب (٢٩٤/٥)، جامع البيان للإيجي (٢٥٦/١)، السراج المنير (٢٢٣/١)، إرشاد العقل السليم (٤٧/٢)، روح المعاني (١٨٣/٢)، محاسن التأويل (٣٣١/٢)، تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين (٣٦٧/١).

(٤) مفاتيح الغيب (٢٥١/٨).

ونستفيد من هذه الحكمة قوة الحكم وجلاء الفصل بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين مخالفيه، وقوة الحكم هذه حصلت، لكونها من الله العليم الحكيم، ولهذا قال أبو حيان: "ودل على أن توليهم إفساد أي إفساد"^(١).

ومن الحكم: الدلالة على أن التولي عن حجة الله وتوحيده تعالى هو رأس الفساد، وأصل الخراب، حيث أعرض هؤلاء عن توحيد الله تعالى، وأبوا إلا الإشراك به تعالى، فدل هذا على أن الإعراض عن توحيده سبحانه من أشد وأعظم أنواع الفساد. قال ابن كثير: "أي: من عدل عن الحق إلى الباطل فهو المفسد والله عليم به، وسيجزيه على ذلك شر الجزاء"^(٢).

قال أبو السعود: "وإنما وضع موضعه ما وضع؛ للإيذان بأن الإعراض عن التوحيد والحق الذي لا محيد عنه بعدما قامت به الحججُ إفسادٌ للعالم"^(٣).

أهمية توحيد الله تبارك وتعالى، وعظم الشرك به سبحانه، ولهذا جعل الله هؤلاء المتولين عن بيناته، المعرضين عن توحيده جعلهم مفسدين، مفسدين في اعتقادهم، ومفسدين لاعتقاد غيرهم.

ومن أجل الحكم لهذا الأسلوب في هذه الآية الكريمة: التنبيه على العلة التي توجب العقاب، وهي الإفساد، لأن الله علق الحكم بالفساد، وإذا علق الحكم بالوصف كان الوصف علة للحكم.

الدلالة على العموم، وهذا يؤخذ من العلة التي علق عليها الحكم، ومن "ال" المفيدة للاستغراق، ومن جمع المذكر السالم: ﴿يَا مُفْسِدِينَ﴾؛ فيدل هذا اللفظ بعمومه أن كل

(١) البحر المحيط (١٩٣/٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٥٥/٢)، وانظر: جامع البيان (٤٦٧/٥).

(٣) إرشاد العقل السليم (٤٧/٢).

مفسد فالله عليم به، وهذا يقتضي الوعيد والتهديد، فليس المراد العلم المجرد، بل المراد العلم المقتضي للمجازة والمؤاخذة.

ومن الحكم مراعاة فواصل الآية الكريمة، فلو قال: عليم بهم لم تتناسب مع ما قبلها، ولا مع ما بعدها، ومراعاة الفواصل من البلاغة، وله في القرآن الكريم أمثلة عدة، وهذا ما أشار إليه أبو حيان بقوله: "ولكونه رأس آية"^(١).

هذه الحكم -وأكثر مما لم نطلع عليه- لا تتأتى لو حلَّ الضمير محل الاسم الظاهر.

الموضع الخامس:

قَالَ مَعَالَى: ﴿بَلَّغْ مَنْ أَوْفَى بَعْدَهُ وَأَتَقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ٧٦).

قال السيوطي -رحمه الله-:

"﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمّر"^(٢).

الدراسة:

في قول السيوطي السابق "فيه وضع الظاهر موضع المضمّر" أي: كان مقتضى الأصل وضع الضمير، أي: من أوفى بعهدده واتقى فإن الله يحبه، لكن الله ترك الضمير، ووضع الاسم الظاهر -المتقين- مكانه.

وقد نص جمع من العلماء على ما نص عليه السيوطي من أن هذا من قبيل وضع الظاهر موضع المضمّر، منهم: العكبري والنسفي والخطيب الشربيني وصديق حسن وابن عثيمين^(٣).

(١) البحر المحيط (١٩٣/٣).

(٢) تفسير الجلالين (ص: ٧٧).

(٣) انظر: التبيان في إعراب القرآن (٢٧٣/١)، مدارك التنزيل (٢٦٧/١)، الدر المصون (٢٦٩/٣)، اللباب في علوم الكتاب (٣٣٨/٥)، السراج المنير (٢٢٦/١)، حاشية الشهاب على البيضاوي (٣٧/٣)، حاشية

وقد ذكر العلماء حكماً جليلاً لهذا الأسلوب وفي هذا الموضوع، فمنها^(١) تشريف التقوى والحض عليها والتنويه بشأنها؛ لهذا جاء قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾، فيأله من شرف ما أجله وأسماه، قال ابن عطية: "خرج جواب الشرط على تعميم المتقين تشريفاً للتقوى وحضاً عليها"^(٢). ومنها: إفادة العموم، فمن اتقى الله أحبه الله، وهذا معنى معهود من هذا الأسلوب، يقول الشهاب الخفاجي: "فالالتفات عن الضمير إلى الظاهر، لإفادة العموم كما هو المعهود في أمثاله"^(٣).

وهذا المعنى - محبة الله للمتقين - جاء ذكره في القرآن الكريم في موضعين آخرين سوى هذا، كلاهما في التوبة آية (٤، ٧)، قال صديق حسن: "وفيه وضع الظاهر موضع المضمحل للإعتناء بشأنهم، وإشارة إلى عمومهم لكل متق"^(٤). ومن هذه الحكمة نأخذ ردَّ الله تعالى على هؤلاء اليهود في دعواهم أنه ليس عليهم في العرب سبيل، فبين الله أن من اتقى الله وأوفى بعهده "فإنه من المتقين الذين يحبهم الله تعالى، سواء كانوا من الأميين أو غيرهم، فمن قال: ليس علينا في الأميين سبيل، فلم يوف بعهده ولم يتق الله، فلم يكن ممن يحبه الله، بل ممن يبغضه الله"^(٥).

الجمال (٣٠٨/١)، روح المعاني (١٩٥/٢) فتح البيان في مقاصد القرآن (٢٦٩/٢)، تفسير سورة آل عمران (٤٢٩/١).

(١) انظر المصادر السابقة لهذه الحكم.

(٢) المحرر الوجيز (٤٥٩/١)، وانظر: البحر المحيط (٢٢٥/٣)، حاشية الجمال (٣٠٨/١).

(٣) حاشية الشهاب على البيضاوي (٣٧/٣).

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن (٢٦٩/٢)، وانظر: حاشية الجمال (٣٠٨/١)، روح المعاني (١٩٥/٢).

(٥) تفسير الكريم الرحمن (ص: ١٣٥).

ومن الحِكم-والعلم عنده تعالى- التسجيل على أن من لم يوف بالعهد ليس من المتقين، ولا هو داخل في صفهم، ولا معدود منهم، وفي المقابل: من أوفى بعهده فهو من المتقين.

ويدخل في نقض العهد ما فعله أكثر اليهود من كتم خبر النبي صلى الله عليه وسلم والكفر به، فهذا أعظم النقض، فمن كان كذلك فليس من المتقين، وليس ممن يحبه الله تعالى.

ومن الحكم الـتعريض بأن أصحاب هذا الرأي من اليهود ليسوا على حظ من التقوى، وهي الدعامة الأساسية في كل دين قويم^(١).

التنبية على علة الحكم التي دل عليها الاسم الظاهر، وهي التقوى، فالعلة في محبة الله لعباده هي التقوى، فلو قال تعالى: فإن الله يحبه، لم يكن فيها إظهاراً للعلة. مراعاة رؤوس الآي.

تنبيه المخاطب، ووجهه: أن الكلام إذا كان على نسق واحد قد يغفل المستمع عن بعضه، بخلاف ما إذا تغير الأسلوب، فإنه يسترعي انتباه السامع.

وهذه الحكمة وسابقتها لا تختص في هذا الموضوع، بل هي عامة في هذا الأسلوب. هذه بعض الحكم التي تستقى من هذا الأسلوب العظيم، ما كانت- والعلم عنده تعالى- لتسجل لو كان الضمير حالاً محل الاسم الظاهر، فسبحان من أودع كتابه أسراراً باهرة وحكماً بالغة.

الموضع السادس:

قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾ (آل عمران: ١٩٢).

(١) قاله المراغي في تفسيره (١٩١/٣)، وانظر: التحرير والتنوير (٢٨٩/٣).

قال السيوطي - رحمه الله -:

”رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ ﴿فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ﴾ أَهْنَتْهُ ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾
الكافرين، فيه وضع الظاهر موضع المضمَر؛ إشعاراً بتخصيص الخزي بهم ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾
يمنعونهم من عذاب الله تعالى”^(١).

الدراسة:

نسق الجملة القرآنية - جريا على الأصل، وهو استعمال الضمير - : ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيت، وما له من أنصار، لكن ربنا جل ذكره وضع الاسم الظاهر ”الظالمين” محل الضمير العائد على الداخلين النار.

ومثل هذه الآية - في هذه النكتة البلاغية - قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ، مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (المائدة: ٧٢) غير أن السيوطي لم يذكر هذا في آية المائدة، فهل اكتفى بما ذكره في آية آل عمران؛ طلباً للاختصار؟ أم سهواً قلمه؟

هذا، وقد نصَّ جمع من العلماء على ما نص عليه السيوطي، فمنهم:
البيضاوي والإيجي والخطيب الشربيني وأبو السعود والألوسي وصديق حسن
والقاسمي وابن عثيمين وغيرهم^(٢).

لكن ما الحكمة من استعمال هذا الأسلوب ههنا؟

إن من الحكم المستنبطة من استعمال الاسم الظاهر بدل الضمير ما يلي:

(١) تفسير الجلالين (ص: ٩٥).

(٢) انظر: أنوار التنزيل (٥٤/٢)، جامع البيان للإيجي (٣٢٥/١)، السراج المنير (٣٨٨/١)، إرشاد العقل السليم (١٣١/٢)، حاشية الجمل (٣٦٧/١)، روح المعاني (٢٧٣/٢)، فتح البيان (٤٠١/٢)، محاسن التأويل (٤٨٢/٢)، الجدول في إعراب القرآن (٤١٥/٤)، تفسير سورة آل عمران (٥٥٠/٢)، التفسير المنير للزحيلي (٢٠٤/٤).

أولاً: بيان أن هؤلاء الداخلين للنار ظالمون، متصفون بهذا الوصف القبيح، فهم مستحقون لهذا العذاب، حيث وضعوا العبادة في غير محلها.

ثانياً: الذم لهؤلاء، والتشنيع عليهم، مستفاد من وصفهم بالظلم، وهو وجه زائد على الذم المستفاد من دخول النار، ووجهه: أن الله وصفهم بالظلم، وقد استقر في الفطر السليمة قبح الظلم وشناعة من اتصف به؛ ذلك، لأن الظلم وضع الأشياء في غير مواضعها، فمن صدر منه هذا الأمر، نفرت منه النفوس السليمة، واستقبحت العقول الصحيحة؛ ليتحصل من هذا ذم القارئ والسامع لهؤلاء المتصفين بهذا الوصف.

ثالثاً: بيان العلة التي لأجلها أدخلهم الله النار، وهي الظلم، ليبين سبحانه تعالى للناس أن من أتى بهذا الوصف - الظلم - استحق العقاب - دخول النار أو الخلود فيها^(١).

قال محمد عبده:

”وصف من يدخلون النار بالظالمين؛ تشنيعاً لأعمالهم، وبياناً لعلّة دخولهم فيها، وهو جورهم، وميلهم عن طريق الحق“^(٢).

(١) اختلف المفسرون هل المراد بدخول النار في الآية دخول النار، فيشمل عصاة المسلمين، أم المراد الخلود؟ على قولين اثنين:

اختار الأول ابن جرير (٣١٣/٦) وابن عطية (٥٥٦/١)، وهذا مذهب جابر بن عبد الله^أ، رواه عنه ابن جرير (٣١٣/٦)، قال الواحدي في التفسير البسيط (٢٥٨/٦): ”قال ابن الأنباري: وحمل الآية على العموم أولى من نقلها إلى خصوص لا دليل عليه“.

(٢) تفسير المنار (٢٤٧/٤) وهذه العلة ذكرها غالب من ذكر هذا الأسلوب، كما أنها تفهم من كلمات المفسرين، انظر: أنوار التنزيل (٥٤/٢)، جامع البيان للإيجي (٣٢٥/١)، إرشاد العقل السليم (١٣١/٢)، روح المعاني (٣٧٣/٢)، محاسن التأويل (٤٨٢/٢)، الجدول في إعراب القرآن (٤١٥/٤)، تفسير سورة آل عمران (٥٥٠/٢).

وتدل هذه الحكمة على حكمة أخرى^(١) وهي: أَنَّ الخزي مختص بهؤلاء لا يتعداه إلى غيرهم، وعليه؛ فمن لم يتصف بالظلم لم يدخله الله النار، ولم يخزه تعالى^(٢)، بل هو في منجاة من هذا كله، نسأل الله أن يجعلنا من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. هذه الحكم هي من جراء استعمال الاسم الظاهر مكان الضمير.

الموضع السابع:

قَالَ مَالٍ: ﴿قَدْ عَلِمَ إِنَّهُ يَحْرُكُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَاعَتْ أَلَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ (الأنعام: ٣٣).

قال السيوطي:

"﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ﴾ في السر؛ لعلمهم أنك صادق.. ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ وضعه موضع المضمير"^(٣).

الدراسة:

في الآية الكريمة إقامة الظاهر موضع المضمير، حيث أَنَّ الله تعالى قال: ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَاعَتْ أَلَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ ولو وضع المضمير لقال جل وعلا؛ ولكنهم بآيات الله يجحدون.

وهذا كما ترى وضع للاسم الظاهر موضع الضمير. وقد نصَّ على هذا جمع من العلماء، منهم:

الزمخشري والبيضاوي والنسفي وابن جزري وأبو حيان والسمين الحلبي وابن عادل وأبو السعود والشوكاني وصديق حسن وابن عاشور وأبو زهرة^(٤).

(١) لم أشأ إفرادها؛ لكونها مفهومة من كون الظلم علة الدخول.

(٢) انظر: فتح البيان (٤٠١/٢)، التفسير المنير للزحيلي (٢٠٤/٤).

(٣) تفسير الجلالين (ص: ١٦٧).

(٤) انظر: الكشف (١٩/٢)، أنوار التنزيل (١٦٠/٢)، مدارك التنزيل (٥٠٠/١)، التسهيل لعلوم التنزيل

(٢٥٩/١)، البحر المحيط (٤٨٩/٤)، الدر المصون (٦٠٥/٤)، اللباب في علوم الكتاب (١١٤/٨)، إرشاد=

وكما علمت، لن تعدم فائدة من هذا الأسلوب، بل ثمت فوائد لا تجدها لو استعمل الضمير، فمن هذه الفوائد وهاتيك الحكم ما يلي:

أولاً: الدلالة على ظلم هؤلاء، فلما جحدوا آيات الله تبارك وتعالى كانوا ظالمين، ففي هذا بيان أن من جحد آيات الله تعالى فهو ظالم.

قال الشوكاني: "ووصفهم بالظلم لبيان أن هذا الذي وقع منهم ظلم بين" (١).

ثانياً: التسجيل على هؤلاء الجاحدين الذين بعث فيهم نبينا صلى الله عليه وسلم وهم أهل مكة أنهم ظالمون، بل رسخوا في الظلم - والعياذ بالله - حيث أنكروا الحق بعدما تبين لهم واتضح.

ثالثاً: الذم لهؤلاء الجاحدين، والتشنيع عليهم، وهذا مستفاد من وصفهم بالظلم، والظلم وصف قبيح تترفع عنه النفوس الأبية، قال ابن عاشور: "وعدل عن الإضرار إلى قوله: ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ ذمّاً لهم، وإعلاماً بأن شأن الظالم الجحد بالحجة، وتسجيلاً عليهم بأن الظلم سجيتهم" (٢).

رابعاً: النص على سبب الجحد، وهو الظلم، إذ قد يقول قائل: ما الذي جعلهم يجحدون الحق، وينكرونه رغم بيانه ووضوحه؟ فالسبب هو تلبس هؤلاء بالظلم، وهذا فائدة تنتزع من استعمال الاسم الظاهر لا غير (٣).

=العقل السليم (١٢٧/٣)، فتح القدير (١٢٧/٢)، فتح البيان (١٣٠/٤)، التحرير والتنوير (١٩٩/٧)، زهرة التفاسير (٢٤٨٤/٥)، تفسير حدائق الروح (٣٠١/٨).

(١) فتح القدير (١٢٧/٢)، وانظر: الكشف (١٩/٢)، أنوار التنزيل (١٦٠/٢)، التسهيل لعلوم التنزيل (٢٥٩/١).

(٢) التحرير والتنوير (١٩٩/٧).

(٣) انظر: أنوار التنزيل (١٦٠/٢)، البحر المحيط (٤٨٩/٤)، الدر المصون (٦٠٥/٤)، الباب في علوم الكتاب (١١٤/٨)، حاشية الشهاب (٥٢/٤)، روح المعاني (١٢٨/٤).

خامساً: تسليية قلب النبي صلى الله عليه وسلم، وتخفيف الخطب عليه، وذلك أنه إذا علم ظلمهم، وتيقن بغيهم هان الخطب، وخف الأمر، فكأن الله تعالى يقول له: يا محمد هؤلاء ظالمون معتدون، لا يرجى منهم إقرار بحق، أو تصديق بدين، فلا تحزن عليهم.

الموضع الثامن:

قَالَ مَالٍ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ بَيْنِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام: ٦٨).

قال السيوطي - رحمه الله -:

”﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى﴾ أي: تذكرة ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فيه وضع الظاهر

موضع المضمّر”^(١).

الدراسة:

هكذا قال السيوطي، ولم يذكر حكمة أو سبباً لما قال، وأراد - رحمه الله - بقوله السابق أن الجملة لو استعمل فيها الضمير كانت على هذا النحو: فلا تقعد معهم، لكن ترك الضمير إلى الاسم الظاهر، فقال تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

وقد شارك السيوطي جمع من العلماء، وقالوا بمثل قوله، منهم: البيضاوي وأبو حيان والنيسابوري والبقاعي وأبو السعود والأوسى وصديق حسن وابن عاشور^(٢). وقد ذكروا لهذا الأسلوب في هذا الموضع ثلاثة حكم^(٣)، واليكها:

(١) تفسير الجلالين (ص: ١٧٣).

(٢) انظر: أنوار التنزيل (١٦٧/٢)، البحر المحيط (٥٤٦/٤)، غرائب القرآن (٩٧/٣)، نظم الدرر (١٤٧/٧)، إرشاد العقل السليم (١٤٧/٣)، حاشية الجمل (٤٧/٢)، حاشية الصاوي (٥٩٢/٢)، روح المعاني (١٧٤/٤)، فتح البيان (١٦٦/٤)، التحرير والتنوير (٢٩٢/٧)، الجدول في إعراب القرآن (١٨٢/٧)، التفسير المنير للزحيلي (٢٤٦/٧).

(٣) انظر المراجع السابقة.

الدلالة على ظلم هؤلاء، فلما وضع الظاهر موضع الضمير، أفاد أن هؤلاء ظالمون، بل راسخون في الظلم؛ حيث قابلوا آيات بالاستهزاء والسخرية، وهذا غاية الظلم، ووضع الشيء في غير موضعه، قال ابن عطية: "ووصفهم هنا بـ"الظَّالِمِينَ" متمكن، لأنهم وضعوا الشيء في غير موضعه"^(١).

ويستفاد من هذه الحكمة: أنهم لما كانوا ظالمين، فإن أقوالهم وما يصدر عنهم تجاه آيات الله ظلم وتجني على الحق، فلا يسوغ لعاقل إصغاء سمعه إليها. بيان السبب الذي جعلهم يقابلون آيات الله بالاستهزاء والسخرية، ألا وهو الظلم، وهذا يتضمن في طياته التحذير من الظلم، والتجافي عنه^(٢).

إفادة العموم، ﴿فَلَا تَقْعُدُوا بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، فكل ظالم لا يقعد معه حال تلبسه بظلمه ومنكره؛ فإن الله علق الحكم -وهو النهي عن مجالسة الظالمين- على الوصف -وهو الظلم-، فيعم، قال الجصاص:

"وذلك عموم في النهي عن مجالسة سائر الظالمين من أهل الشرك وأهل الملة؛ لوقوع الاسم عليهم جميعاً...؛ لأن النهي عام عن مجالسة الظالمين؛ لأن في مجالستهم مختاراً مع ترك النكير دلالة على الرضا بفعالهم"^(٣).

وبهذه الآية كان العلماء يستدلون على لزوم مجانبة أهل البدع، وينهون عن مجالستهم^(٤).

(١) المحرر الوجيز (٣٠٤/٢)، وانظر: أنوار التنزيل (١٦٧/٢)، نظم الدرر (١٤٧/٧)، جامع البيان للإيجي (٥٤٦/١)، إرشاد العقل السليم (١٤٧/٢)، روح المعاني (١٧٤/٤)، فتح البيان (١٦٦/٤)، التحرير والتنوير (٢٩٢/٧).

(٢) انظر: البحر المحيط (٥٤٦/٤).

(٣) أحكام القرآن (١٦٦/٤)، وانظر: نظم الدرر (١٤٧/٧)، الجامع لأحكام القرآن (١٣/٧).

(٤) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٦١١/١)، حز الغلاصم (ص: ١١٠) الجامع لأحكام القرآن (١٣/٧)، الاعتقاد الخالص (ص: ٣٢٢)، فتح القدير (١٤٦/٢)، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (٣٤٣/٢).

فهذه بعض الحكم التي تستنبط من هذا الأسلوب.

الموضع التاسع:

﴿وَالَّذِينَ يَمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (الأعراف: ١٧٠).

قال السيوطي - رحمه الله -: "﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ الجملة خبر الذين، وفيه وضع الظاهر موضع المضمّر، أي: أجرهم" (١).

الدراسة:

هذه الآية من جملة الآيات التي ذكر السيوطي - كغيره من العلماء - أنها من قبيل وضع الظاهر موضع المضمّر، وذلك في قوله تعالى: ﴿﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾﴾ فالضمير يعود على ما سبق، وهم الذين يمسكون بالكتاب، فيكون تقدير الجملة: إنا لا نضيع أجرهم، لكن الله تعالى وضع الاسم الظاهر، وهو "الْمُصْلِحِينَ" محل الضمير، فأظهر في محل الإضمار، ولا شك أن هذا لحكمة بالغة.

وقد قال بهذا القول جمع من العلماء، منهم:

العكبري والبيضاوي وابن جزى وصديق حسن والقاسمي والشنقيطي (٢).

وإن من الحكم التي يمكن ذكرها لهذا الأسلوب ما يلي:

بيان علة عدم تضییع أجرهم، ألا وهي الإصلاح، فباستخدام هذا الأسلوب، كأن ربنا قال: لا نضيع أجرهم؛ لأنهم مصلحون، فمن أصلح، فلن يضيع أجره، قال القاسمي: "من

(١) تفسير الجلالين (ص: ٢٢٠).

(٢) انظر: التبيان في إعراب القرآن (٦٠٢/١)، أنوار التنزيل (٤١/٣)، التسهيل لعلوم التنزيل (٣١١/١)، فتح البيان (٦٧/٥)، محاسن التأويل (٢١٥/٥)، زهرة التفاسير (٣٠٠١/٦)، العذب النمير (٣٠٤/٤)، الجدول في إعراب القرآن (١١٩/٩)، التفسير المنير للزحيلي (١٤٧/٩).

وضع الظاهر موضع المضمّر، تنبيهاً على أن الإصلاح كالمانع من التضييع؛ لأن التعليق بالمشتق يفيد علة مأخذ الاشتقاق، فكأنه قيل: لا نضيع أجرهم؛ لإصلاحهم^(١).

وهذه العلة تتكرر كثيراً في مثل هذا الأسلوب.

إفادة العموم، وهذا مستفاد من هذا الاستعمال - كما مر - ومن ربط الوصف بالحكم، فأصبح كل من أصلح عمله حفظ أجره، من ذكر وأنثى، فلا يخص هذا العموم.

الثناء على هؤلاء ومدحهم، والإشادة بذكرهم، وفي هذه الحكمة وسابقتها يقول ابن عاشور:

”وجملة: إنا لا نضيع أجر المصلحين خبر عن الذين يمسون، والمصلحون هم، والتقدير: إنا لا نضيع أجرهم؛ لأنهم مصلحون، فطوي ذكرهم؛ اكتفاء بشمول الوصف لهم، وثناء عليهم على طريقة الإيجاز البديع“^(٢).

أهمية الإصلاح وعظيم فائدته، وأن الذي يبقى عمله، ويلقى جزاءه هو المصلح، وأما غيره فلا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (الكهف: ٣٠)، وعلى هذا؛ فمن عمل عملاً صالحاً، لكنه لم يؤمن فما أصلح، ولن ينال جزاءه، وفي القرآن الكريم يذكر العمل الصالح مقروناً بالإيمان، كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧).

(١) محاسن التأويل (٢١٥/٥)، وانظر: التفسير البسيط (٤٣٧/٩)، زاد المسير (١٦٦/٢)، أنوار التنزيل (٤١/٣)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨٩/١٤)، تفسير المنار (٣٢٤/٩)، زهرة التفاسير (٣٠١/٦)، التفسير المنير للزحيلي (١٤٧/٩).

(٢) التحرير والتنوير (١٦٤/٩)، وانظر: نظم الدرر (١٤٩/٨).

بيان المراد بالإصلاح، ومن هم المصلحون؟ فلما ذكر الله تعالى التمسك بالكتاب وإقام الصلاة، ثم ذكر أنه لا يضيع أجر المصلحين، ولم يقل: أجرهم؛ دلنا ذلك على أن المصلحين هم المذكورون قبل هذا الوصف. وفي هذا رد على أهل الكتاب الزاعمين أنهم على سبيل الإصلاح، فيقال لهم: كلا حتى تتسمكوا بالكتاب الذي يأمركم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم، وتقيموا الصلاة.

فهذه بعض الحكم التي نستلهمها من هذا الأسلوب البلاغي الرائع، ولا يعني هذا قصرها على ما ذكر، وإنما بحسب ما فتح لنا ولغيرنا.

الموضع العاشر:

﴿وَلَا يَكُونُوا أَيْمَنُهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَنِيلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْا﴾ (التوبة: ١٢).

قال السيوطي - رحمه الله -:

”﴿وَلَا يَكُونُوا﴾ نقضوا ﴿أَيْمَنُهُمْ﴾ موافقهم ﴿مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ عابوه ﴿فَقَنِيلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ﴾ رؤساءه، فيه وضع الظاهر موضع المضمّر”^(١).

الدراسة:

هذه الآية فيها وضع الظاهر وهو ﴿فَقَنِيلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ﴾ مكان الضمير من الفعل: فقاتلوهم.

وقد نصَّ على هذا جمع كثير من العلماء منهم:

الزمخشري والنسفي وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم والنيسابوري وأبو السعود والألويسي وصديق حسن وابن عاشور^(٢).

(١) تفسير الجلالين (ص: ٢٤٢).

(٢) انظر: الكشف (٢/٢٥٧)، مدارك التنزيل (١/٦٦٧)، الصارم المسلول (ص ١٧)، أحكام أهل الذمة

(٣/١٣٨٥)، غرائب القرآن (٣/٤٣٦)، السراج المنير (١/٥٩٢)، إعراب القرآن العظيم المنسوب لزمكيا

ولاشك أنَّ للعدول عن استعمال الضمير إلى الاسم الظاهر حكماً عظيمة وفوائد جليلة ذكر بعضها أهل العلم، فمنها:

زيادة التقبيح والتشنيع على هؤلاء، والتسجيل عليهم بالانغماس في أدنى دركات الكفر، ويأتي هذا من وصفهم بكونهم رؤوساً في الكفر وأئمة في الضلال، كما أن هذا الوصف يدل على دناءة في الخلق، وحقارة في التعامل مع الخلق، عنوانه عدم احترام المواثيق، وامتهان العهود والأيمان، ونقض ما أبرمه من وعد، وإن الرجل العاقل ليربأ بنفسه أن يكون رأساً في الغواية، فانظر كيف اختصر الله بهذا الوصف أوصافاً كثيرة، يقول الزمخشري:

”فوضع أئمة الكفر موضع ضميرهم: إشعاراً بأنهم إذا نكثوا في حال الشرك تمرّداً وطغياناً وطرحاً لعادات الكرام الأوفياء من العرب، ثم آمنوا، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصاروا إخواناً للمسلمين في الدين، ثم رجعوا فارتدوا عن الإسلام، ونكثوا ما بايعوا عليه من الإيمان والوفاء بالعهود، وقعدوا يطعنون في دين الله، ويقولون: ليس دين محمد بشيء، فهم أئمة الكفر وذوو الرياسة والتقدم فيه، لا يشق كافر غبارهم“^(١).

بيان خطر هؤلاء وعظم جرمهم، فيجب على أهل الإسلام أخذ الحيطة والحذر منهم، ووجوب مقاتلتهم؛ إذ هم رؤوس الكفر وقادة الشرك ودعاة الضلال، فكيف يتغافل عنهم، أو يتقاعس في قتالهم. وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم تحقيق لهذا الأمر، وتطبيق لهذا الحكم، وتنفيذ لهذا الإرشاد، فكان من سنته صلى الله عليه وسلم هدر دماء من آذى الله ورسوله، وطعن في الدين، فقتل النبي صلى الله عليه وسلم كعب

الانصارى (ص: ٣٠٢)، إرشاد العقل السليم (٤/٤٧)، روح المعاني (٥/٢٥٣)، فتح البيان (٥/٢٤٥)، تفسير المنار (١٧٢/١٠)، التحرير والتنوير (١٠/١٣٠).

(١) الكشف (٢/٢٥١)، وانظر: غرائب القرآن (٣/٤٣٦)، تفسير المنار (١٠/١٧٢)، التحرير والتنوير (١٠/١٣٠).

بن الأشرف الذي أذى الله ورسوله^(١)، وأباً رافع اليهودي الذي كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه^(٢)، وقتل يهود بني قريظة، وكانوا ناقضين للعهد، وأبي عزة الجمحي، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسره يوم بدر، ثم من عليه وأطلقه بغير فداء، وأخذ عليه ألا يعين عليه، فنقض العهد، فأسر يوم أحد، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب عنقه صبراً، وقال له: والله لا تمسح عارضيك بمكة وتقول: خدعت محمداً مرتين^(٣)، والأمثلة في هذا كثيرة. وربما أمسك عن غيرهم^(٤).

قال أبو السعود: "وإنما أوتر ما عليه النظم الكريم؛ للإيذان بأنهم صاروا بذلك ذوي رياسة، وتقدم في الكفر أحقاً بالقتل والقتال"^(٥).

بيان أن من نكث عهده وطعن في الدين فهو إمام من أئمة الضلال ورؤوس الكفر. فهذا الأسلوب يجلي لنا بكل وضوح من هم أئمة الكفر، وهذا يؤخذ من أن الله لما بين بعض أفعالهم، ومنها الطعن في الدين حكم بأن أرباب هذه الأفعال هم رؤوس الكفر، ويجب أن يُقاتلوا، ولهذا كان الصحيح في الآية: "أنه لا يعنى بها معين، وإنما وقع الأمر بقتال أئمة الناكثين بالعهود من الكفرة إلى يوم القيامة دون تعيين، واقتضت حال كفار العرب ومحاربي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكون الإشارة إليهم أولاً بقوله "﴿أَيُّمَةُ الْكُفْرِ﴾" وهم حصلوا حينئذ تحت اللفظة إذ الذي يتولى قتال النبي والدفع في

(١) قصة قتله مخرجة في الصحيحين، قال البخاري: باب قتل كعب بن الأشرف، ثم ساق حديث (٤٠٣٧)، ومسلم (١٨٠١).

(٢) بوب البخاري لقصة قتله بقوله: باب قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق، ثم ساق حديث قتله (٤٠٣٩).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (١٠٤/٢)، جوامع السيرة (ص: ١٣٩)، الروض الأنف (٣٠/٦).

(٤) أفاده ابن تيمية في: الصارم المسلول (ص: ١٤)، وانظر: أحكام أهل الذمة (٣٨١/٣).

(٥) إرشاد العقل السليم (٤٧/٤)، وانظر: محاسن التأويل (٣٥٩/٥).

صدر شريعته هو إمام كل من يكفر بذلك الشرع إلى يوم القيامة، ثم تأتي في كل جيل من الكفار أئمة خاصة بجيلٍ جيلٍ^(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

”وإمام الكفر هو الداعي إليه المتَّبِع فيه، وإنَّما صار إماماً في الكفر؛ لأجل الطعن، فإن مجرد النكث لا يوجب ذلك، وهو مناسب؛ لأن الطاعن في الدين يعيبه ويذمه ويدعو إلى خلافه، وهذا شأن الإمام، فثبت أن كل طاعن في الدين، فهو إمام في الكفر، فإذا طعن الذمي في الدين فهو إمام في الكفر، فيجب قتله؛ لقوله تعالى: ﴿فَقَتِّلُوا آلَ الْكُفْرِ﴾^(٢).

لكن، من نكث العهد من الكفار فإنه يصير إماماً، فيقتدي به من كان متردداً، بل وربما جرّاً من لم يكن عنده همة للنقض، كما حدث من اليهود في غزوة الأحزاب.

ولاشك أن الطاعن في الدين أشد ضرراً وأعظم خطراً من ناكث العهد.

هذه بعض الحكم والفوائد التي تستقى من هذا الأسلوب البليغ، وما كنا لنفقهها لو كان الضمير هو المستعمل في التعبير، وهذا ينبيك عن عظمة كتاب الله تعالى، وغزارة ما يحويه من العلم.

الموضع الحادي عشر:

﴿قُلْ أَزْهَبْتُمُ لَكُمْ عَذَابَهُ بَيْنَنَا أَوْ نَحْنُ مَا ذَايَسْتَعِجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (يونس: ٥٠).

قال السيوطي - رحمه الله -:

(١) المحرر الوجيز (١٢/٣).

(٢) الصارم المسلول (ص ١٧)، وانظر: أحكام القرآن للجصاص (٢٧٧/٤)، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن (٢٢٧/١)، روح المعاني (٢٥٣/٥).

”﴿مَاذَا﴾ أي شيء ﴿يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ﴾ أي العذاب ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ المشركون، فيه وضع الظاهر موضع المضمّر^(١).

الدراسة:

نص السيوطي - رحمه الله - على أن كلمة ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ حلت محل الضمير في هذه الجملة، ولو استعمل الضمير لكان نسق الجملة على هذا النحو، وهو: ماذا يستعجلون منه، أو ماذا تستعجلون منه، لكن وضع الظاهر موضع المضمّر، فكانت الجملة: ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾. وقد نص على هذا جمع من العلماء، منهم:

ابن المنير والبيضاوي وأبو حيان والخطيب الشربيني وأبو السعود والشوكاني والقاسمي وابن عاشور^(٢).

وثبت فوائد وحكم تستقى من هذا الأسلوب البليغ، فمن ذلك: النصُّ على السبب الموجب لترك الاستعجال، وهو الإجمام، وهذا ما أبداه الزمخشري، ونقله بعض أهل العلم، قال الزمخشري: ”فإن قلت: فهلا قيل: ماذا تستعجلون منه؟

قلت: أريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الإجمام، لأنَّ من حق المجرم أن يخاف التعذيب على إجرامه، ويهلك فزعا من مجيئه وإن أبطأ^(٣).

(١) تفسير الجلالين (ص: ٢٧٤).

(٢) انظر: الانتصاف (٢/٣٥١ - حاشية على الكشف)، أنموذج جليل (ص: ١٨٨)، أنوار التنزيل (٣/١١٥)، البحر المحيط (٦/٧٠)، السراج المنير (٢/٢٤)، إرشاد العقل السليم (٤/١٥٢)، فتح القدير (٢/٥١٣)، التحرير والتنوير (١١/١٩٣)، محاسن التأويل (٦/٣٢)، التفسير المنير (١١/١٩٠).

(٣) الكشف (٢/٣٥١)، وانظر: أنوار التنزيل (٣/١١٥)، البحر المحيط (٦/٧٠)، السراج المنير (٢/٢٤)، إرشاد العقل السليم (٤/١٥٢)، فتح القدير (٢/٥١٣).

وصف هؤلاء بالإجرام، وهذا الوصف ينبك عن مدى حالهم السيئة التي وصلوا إليها. بيان حال المجرمين مع يوم القيامة، وهو عدم المبالاة به والاستخفاف بشأنه، ولهذا فالمجرمون يستعجلونه، ويقولون: متى هو؟ أما أهل الإيمان فقد ملأت خشيته قلوبهم، واستولت على جوارحهم، قال تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ۝٧ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (الشورى: ١٧-١٨).

وما كان من أفعال المجرمين فهو إلى النهي أقرب، وبالخطأ أجدر. نسأل الله أن يجنبنا أفعالهم وأحوالهم.

كما نستفيد من هذا الأسلوب: الإشعار بنزول العذاب على المجرمين، ولهذا قال: ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: وهو واقع بهم، لذا قال ابن جرير: "يقول الله تعالى ذكره: ماذا يستعجل من نزول العذاب، المجرمون الذين كفروا بالله، وهم الصالون بحره دون غيرهم، ثم لا يقدر على دفعه عن أنفسهم؟" (١).

مراعاة فواصل الآيات، فلو قال: ماذا تستعجلون منه، لما تناسبت مع ما قبلها ومع ما بعدها، ومعلوم أن مراعاة الفواصل من البلاغة.

تنبيه المستمع، فإن الخروج عن الأصل يسترعي انتباه المستمع ويستدعي تمعنه وتفهمه.

الموضع الثاني عشر:

﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَكُ لَأَن تَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف: ٩٠).

قال السيوطي - رحمه الله -:

(١) جامع البيان (١٢/١٩٠).

”﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ﴾ يخف الله ﴿وَيَصْبِرِ﴾ على ما يناله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمّر”^(١).

الدراسة:

ذكر السيوطي أن الآية فيها وضع الظاهر موضع المضمّر، يعني: أن نسق الجملة - جرياً على الأصل - هو: فإن الله لا يضيع أجرهم، فجعل الله مكان الضمير الاسم الظاهر، وهو المحسنين.

وقد نص على هذا جمع من المفسرين، منهم:

الزمخشري والرازي والبيضاوي والنسفي والشربيني وأبو السعود والشوكاني وصديق حسن والقاسمي وابن عاشور^(٢).

واعلم - رعاك الله - أن وضع المحسنين موضع الضمير له فوائد عدة، نسأل الله أن يفتح علينا فقهها وفهمها، فمن ذلك:

بيان أن من أبرز صفات المحسنين الجمع بين التقوى والصبر، بل من جمع بينهما حاز الإحسان، ولا تتأتى هذه الفائدة من استعمال الضمير، قال البيضاوي: ”وضع المحسنين موضع الضمير؛ للتنبيه على أن المحسن من جمع بين التقوى والصبر“^(٣). وقال أبو السعود: ”تنبيهاً على أن المنعوتين بالتقوى والصبر موصوفون بالإحسان“^(٤).

(١) تفسير الجلالين (ص: ٣١٧).

(٢) انظر: الكشاف (٥٠٢/٢)، مفاتيح الغيب (٥٠٥/١٨)، أنوار التنزيل (١٧٥/٣)، مدارك التنزيل (١٣٧/٢)، البحر المحيط (٣٢١/٦)، السراج المنير (١٣٢/٢)، إرشاد العقل السليم (٣٠٤/٤)، روح البيان (٣١٣/٤)، فتح القدير (٦٢/٣)، روح المعاني (٤٧/٧)، فتح البيان (٣٩٤/٦)، التحرير والتنوير (٤٩/١٣)، محاسن التأويل (٢١٤/٦)، تفسير حدائق الروح والريحان (٩٧/١٤).

(٣) أنوار التنزيل (١٧٥/٣).

(٤) إرشاد العقل السليم (٣٠٤/٤).

وهذه العلة ذكرها أغلب المفسرين مقتصرين عليها، ولم يتحفونا بما سواها،
فنسأل الله الإعانة.

التنويه بفضل أهل الإحسان، وبيان هذا: أن الله لم يذكر المتقين أو الصابرين مع أنه
مر ذكرهم، بل اختار سبحانه المحسنين، ففي هذا - والعلم عنده - التنويه بشأنهم،
وإظهار مكانتهم.

يؤيد هذا: أن التعبير بالإحسان يعني إجادة العمل وإتقانه، فليس هو مجرد اتقاء
للمحرمات، ولا هو فعل للمأمورات فحسب، كلا، بل هو إصابة لمرضاة الله في هذا العمل،
فلا غرو أن يعدهم تعالى - وهو أهل الفضل والجود - بألا يضيع أجرهم، وهذا تكرر في
مواضع عدة من الكتاب العزيز. ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ
أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (الكهف: ٣٠) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (التوبة: ١٢٠) في حين
أنا لم نجد تعليق هذا بالتقوى أو الصبر رغم فضلها، وكريم منزلتهما عند الله تعالى، بل
لم يعلق إلا بالإصلاح، وهو قريب من معنى الإحسان، وعلى الإيمان.

التنبيه على العلة التي أوجبت عدم ضياع أجرهم، وذهاب ثوابهم، إنها الإحسان،
وهو إتقان العمل وإجادته، وقد جاءت الفاء لتثبت أن ما بعدها علة لما قبلها.

ومن الحكم إفادة العموم، فكل محسن فإن الله لا يضيع أجره، قال ابن عاشور:
"للتعميم في الحكم؛ ليكون كالتذييل، ويدخل في عمومته هو وأخوه"^(١).

دخول يوسف وأخيه عليهما السلام في عداد المحسنين، وإقرار الله له بذلك، حيث
حكى ربنا قوله عليه السلام ولم يتعقبه، فدل هذا على أن من أهل الإحسان.
ولا تحصل هذه التزكية لو أن الله أتى بالضمير.

(١) التحرير والتنوير (٤٩/١٣).

هذه بعض الحكم التي يمكن تسجيلها أخذاً من هذا الأسلوب العظيم، وما كنا لنستفيدها لو استعمل الضمير، فسبحان من أودع كتابه أسراراً جليلة وحكماً بليغة.

الموضع الثالث عشر:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾

(الكهف: ٣٠).

قال الجلال المحلي -رحمه الله-:

”﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ الجملة خبر

”إِنَّ الَّذِينَ“ وفيها إقامة الظاهر مقام المضمّر، والمعنى: أجرهم، أي: نثيبهم بما تضمنه^(١).

الدراسة:

ما ذكره الجلال المحلي واختاره ذكره جمع من المفسرين، من أن الآية فيها إقامة الظاهر مقام الضمير، أي: إن نسق الآية -بناء الأصل- إنا لا نضيع أجرهم، لكن ربنا سبحانه أتى بالاسم الظاهر مكان الضمير، فقال: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ بدل: أجرهم.

وممن ذكر هذا: الزجاج والنحاس والواحدي والزمخشري والبيضاوي والنسفي والبقاعي والنيسابوري والخطيب الشربيني وأبو السعود والقنوجي والشنقيطي^(٢).

(١) تفسير الجلالين (ص: ٣٨٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٨٣/٣)، إعراب القرآن للنحاس (٢٩٣/٢)، التفسير البسيط (٦١١/١٣)، غرائب التفسير (٦٥٩/١)، الكشف (٧٢٠/٢)، مفاتيح الغيب (٢٧٦/٨)، أنوار التنزيل (٢٨٠/٣)، مدارك التنزيل (٢٩٩/٢)، نظم الدرر (٥٤/١٢)، السراج المنير (٣٧٤/٢)، إرشاد العقل السليم (٢٢٠/٥)، فتح البيان (٤٦/٨)، أضواء البيان (٢٧٢/٣)، زهرة التفاسير (٤٥٢٥/٩)، التفسير المنير للزحيلي (٢٣٨/١٥).

والكلام في فوائد هذا الأسلوب في الآية الكريمة هو نفسه الكلام المذكور في الآية السابقة؛ فموضوعهما واحد، وهو أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، عدا الفائدة الأخيرة، فهي خاصة بيوسف عليه السلام ولا ذكر له ههنا، فلا نعيده؛ منعاً للتكرار. وفي هذه الآية مبحث لغوي، لا يخرجنا عما نحن فيه، ألا وهو: أن من المعروف عند أهل العربية أن الجملة إذا أُخْبِرَ بها، فلا بد من رابط يعود على المبتدأ المذكور أولاً، فأين الرابط في الآية الكريمة؟

قال جمع من المفسرين والمعربين: الرابط هو إعادة المبتدأ بمعناه، فإن الذين أحسنوا هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وهذا مذهب الأخفش، واختاره الشنقيطي^(١). وهذا هو إقامة الظاهر مقام الضمير. وقال آخرون: بل الرابط محذوف تقديره منهم، أي: إنا لا نضيع أجر من أحسن منهم^(٢).

والأجود الأول؛ لأنه إذا دار الأمر بين التقدير وعدمه، فعدم التقدير أولى.

الموضع الرابع عشر:

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٣٧) ﴿أَسْنِعْ يَوْمَ وَأَنْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (مريم: ٣٧-٣٨).
قال الجلال المحلي - رحمه الله -:

(١) انظر: معاني القرآن للأخفش (٤٣٠/٢)، الدر المصون (٤٨٠/٧)، أضواء البيان (٢٧٢/٣).
(٢) انظر هذين الوجهين في: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٨٣/٣)، إعراب القرآن للنحاس (٢٩٣/٢)، التفسير البسيط (٦١١/١٣)، أنوار التنزيل (٢٨٠/٣)، الدر المصون (٤٨٠/٧)، إرشاد العقل السليم (٢٢٠/٥)، أضواء البيان (٢٧٢/٣).

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ صيغتا تعجب بمعنى: ما أسمعهم وما أبصرهم ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾

في الآخرة ﴿لَكِنَّ الظَّالِمُونَ﴾ من إقامة الظاهر مقام المضمّر^(١).

الدراسة:

موضع الدراسة من الآيتين الكريمتين، هو قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الظَّالِمُونَ﴾ حيث ذكر أقام الله جل شأنه الاسم الظاهر ﴿الظَّالِمُونَ﴾ مقام الضمير وهو الهاء، فكان نسق الجملة لو وضع الضمير: أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكنهم اليوم في ضلال مبين. وقبل البدء بدراسة هذا الأسلوب لابد من بيان معنى الآية حتى يتضح لنا سر من أسرار استعمال هذا الأسلوب، ويلوح لنا شيء من حكمته، فمعنى الآيتين: أن الأحزاب اختلفوا في شأن عيسى عليه السلام فمنهم من قال -ويئس ما قال-: إنه ابن زنى، ومنهم من قال: إنه ابن الله، ومنهم من قال: ثالث ثلاثة، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، فتوعد الله الكافرين بالعذاب يوم القيامة، ثم أخبر سبحانه متعجباً عن شدة سمعهم وأبصارهم يوم القيامة، ولكنهم في هذه الدنيا في ضلال مبين، لا ينتفعون بأسماعهم ولا أبصارهم^(٢).

ولنعد إلى موضوع بحثنا - إقامة الظاهر مقام المضمّر - فاعلم أن هذا الأسلوب في الآية نصّ عليه جمع من المفسرين، وإليك بعض من ذكره: الزمخشري والبيضاوي

(١) تفسير الجلالين (ص: ٤٠٠).

(٢) انظر: جامع البيان (٤٣/١٥)، معالم التنزيل (٢٣٢/٥)، المحرر الوجيز (١٦/٤)، زاد المسير (١٣٢/٣).

التسهيل لعلوم التنزيل (٤٨١/١)، تفسير ابن كثير (٢٣٢/٥)، فتح القدير (٣٩٤/٣).

والنفسى والنيسابوري والخطيب الشربيني وأبو السعود والألوسي وصديق حسن وابن عاشور^(١).

وقد اقتصر أكثرهم على علة واحدة تستفاد من هذا الأسلوب، في حين زاد البعض علة ثانية، فقط، الأمر الذي يجعلنا بحاجة إلى مزيد من التأمل والإمعان؛ لاستخلاص بعض الحكم والهدايات، نسأل الله أن يلهمنا ذلك، ويسدد أقوالنا، إنه جواد كريم. فأقول مستعيناً بالله تعالى:

من الحكم: الإعلام بظلم هؤلاء المختلفين في شأن عيسى عليه السلام الكافرين بخبره، وأنه لا ظلم أشد من ظلمهم، حيث أغفلوا الاستماع والنظر لآيات الله تبارك وتعالى، وقد جاءت بينة واضحة.

وهذه الفائدة أول من نصَّ عليها الزمخشري، وتبعه عليها أهل التفسير، وهي حق – إن شاء الله تعالى –.

بيان شناعة ما هم فيه، وقبح ما هم عليه؛ حتى استحقوا الوصف بالظلم المستقبح عند كل أحد.

وهذا أحد فوائد استعمال الإظهار موضع الإضمار، كما قدمنا. النصُّ على العلة التي أوجبت لهم ترك الحق، وعدم الانصياع له، وهي الظلم، فلشدة ظلمهم، تركوا الحق وجانبوه، وقلوا الخير وكرهوه، ولهذا كانوا في غفلة عنه، قال تعالى: ﴿لَكِنَّ الظَّالِمُونَ آلَيَوْمٍ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، ولو قال سبحانه: لكنهم في ضلال مبين، لما تحققت هذه الفائدة.

(١) انظر: الكشف (١٧/٣)، أنوار التنزيل (١١/٤)، مدارك التنزيل (٣٢٦/٢)، غرائب القرآن (٤٨٦/٤)، إرشاد العقل السليم (٢٦٦/٥)، السراج المنير (٤٢٧/٢)، روح المعاني (٤١١/٨)، فتح البيان (١٦٧/٨)، التحرير والتنوير (١٠٨/١٦)، التفسير المنير (٨٧/١٦).

بيان أنَّ عموم الظالمين -على تعدد مللهم ونحلهم- في ضلال مبين، فقوله: "الظَّالِمُونَ" عامٌ يدخل فيه المشركون واليهود والنصارى وغيرهم، فكل من ظلم، فهو في ضلال مبين.

فأين إدراك هذه العلة لو استعمل الضمير بدل الاسم الظاهر. وبهذا نعرف أن ما سجله الطاهر ابن عاشور^(١) من حكمة لهذا الوصف غير صحيح، حيث زعم أن السرف في إقامة الظاهر مقام المضمرة الخلوص إلى خصوص المشركين عبدة الأصنام؛ لأن اصطلاح القرآن إطلاق الظالمين على عبدة الأصنام، ويرده قول الله تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة: ٢٥٤)، بل هذه الآية لم تتحدث عن المشركين؛ لأنهم لا عقيدة عندهم في شأن عيسى، ولكنها تصدت للرد على المخالفين في شأن عيسى من يهود ونصارى، وسماهم الله ظالمين.

وقد بين غير واحد من المفسرين أن الظالمين ههنا هم الكافرون^(٢). تنبيه المستمع وشد انتباهه لما يلقى إليه.

هذه بعض الحكم السامية التي تستفاد من هذا الأسلوب العظيم.

الموضع الخامس عشر:

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِيتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ (الصافات: ١٧٧).

قال الجلال المحلي -رحمه الله-:

"﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِيتِهِمْ﴾ بفنائهم... ﴿فَسَاءَ﴾ بئس صباحاً ﴿صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ فيه

إقامة الظاهر مقام المضمرة"^(٣).

(١) في التحرير والتنوير (١٠٨/١٦).

(٢) انظر: جامع البيان (٥٤٤/١٥)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٤٥٤٢/٧)، التفسير البسيط (٢٤٩/١٤)، التفسير الوسيط (١٨٤/٣).

(٣) تفسير الجلالين (ص: ٥٩٧).

الدراسة:

معنى هذه الجملة من كلام المحلي أن نسق الجملة في حال استعمال الضمير: فساء صباحهم. ولكن الله جل شأنه أتى بالاسم الظاهر محل الضمير، فقال سبحانه: ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾، ولن يكون هذا إلا لحكمة، وسيأتي البحث فيها- بمشيئة الله تعالى-.

وما ذكره المحلي من أن الآية فيها هذا الأسلوب ذكره جمع من المفسرين، منهم:

الواحدي والزمخشري وصديق حسن وابن عثيمين والزحيلي وغيرهم^(١).

وإن من الحكم والفوائد المأخوذة من هذا الأسلوب ما يلي:

بيان الوصف الذي أوجب لهم العذاب، ونزول العقاب، ألا وهو الإنذار والإعلام، فقد قامت عليهم حجة الله، وأتت إليهم نذره، فمن كان كذلك وعصى الله تعالى، فقد استوجب العذاب.

فكان الله تعالى يقول: فإذا نزل عذابي فساء صباح الذين أنذرتهم عقابي وحلول عذابي.

وهذه العلة منصوص عليها في كتاب الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء: ١٥)، وقوله: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (النساء: ١٦٥)، وقوله: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ (٣٨) ﴿ذَكَرْنَاهَا وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (الشعراء: ٢٠٨-٢٠٩) وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ۚ أَيْنَتَنَا﴾ (القصص: ٥٩).

(١) انظر: التفسير البسيط (١٣٠/١٩)، الكشاف (٦٨/٤)، حاشية الجمل على الجلالين (٥٩١/٣)، فتح البيان (٤٣٦/١١)، تفسير سورة الصافات (ص: ٣٦٥)، التفسير المنير للزحيلي (١٥٦/٢٣)، تفسير حدائق الروح والريحان (٣٠٣/٢٤).

قال ابن جزي: "ومقصد الآية التهديد بعذاب يحل بهم بعد أن أنذروا، فلم ينفعهم الإنذار"^(١).

وبناء على هذا، فنستفيد من هذا الوصف:

أن من لم ينذر فلا ينزل عليهم عذاب الله، كما هو منصوص الآيات السالفات، وهذا من رحمة الله تعالى بعباده، ولو شاء الله لعذبهم وهو غير ظالم لهم.

من الحكم التي يجتنيها أهل الإيمان من استعمال هذا الوصف: أن من أنذر من الكفار جازت مباغتته، ولم يلزم دعوته، والعكس بالعكس، وهذا نجد تطبيقه في سنة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته، حيث أنه لما غزا خيبر أغار عليهم صباحاً، وقال: "الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ﴾"^(٢).

ولاشك أن نصر الله وفتحته لأوليائه هو من العذاب الذي يذيقه أعداءه.

قال ابن عبد البر عند ذكره فوائد الحديث: "وفيه أن من بلغته الدعوة من الكفار لم يلزم دعاؤه، وجازت الغارة عليه، وطلب غفلته وغرته"^(٣).

يستفاد من هذا الوصف المعروف بالآلف واللام العموم، فكل من عصى الله بعد الإنذار من عربي وأعجمي فقد استحق مقت الله وحلول عقابه، قال الزمخشري: "واللام في المنذرين مبهم في جنس من أنذروا، لأن ساء وبئس يقتضيان ذلك"^(٤).

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢٠٠/٢)، وانظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٦١٨٠/٩)، التفسير البسيط (١٣٠/١٩)، فتح البيان (٤٣٦/١١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧١) ومسلم (١٣٥٦) من حديث أنس I.

(٣) التمهيد (٢١٥/٢)، وانظر: فتح الباري لابن رجب (٤١٧/٨).

(٤) الكشف (٦٨/٤)، وانظر: أنوار التنزيل (٢١/٥)، مدارك التنزيل (١٤١/٣)، غرائب القرآن (٥٧٩/٥)، جامع

البيان للإيجي (٤٦٣/٣)، إرشاد العقل السليم (٣١١/٧)، حاشية الشهاب علي تفسير البيضاوي (٢٩١/٧).

التسجيل على هؤلاء الذين نزلت فيهم هذه الآيات وهم كفار مكة بكونهم أذروا، فلا حجة لأحد منهم.

براعة فواصل الآيات، وقد مر ذكره.

هذه بعض الحكم المستفادة من هذا الأسلوب الرباني، والاستعمال القرآني.

الموضع السادس عشر:

﴿وَحَذِّرْكَ مِنْكَ ضَعْفًا فَاصْرَبْ بِهِ وَلَا تَحْنَنْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص: ٤).

قال المحلي - رحمه الله -:

”﴿وَحَبِّبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ رسول من أنفسهم ينذرهم، ويخوفهم النار بعد البعث، وهو النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَقَالَ الْكُفْرُونَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمّر^(١).”

الدراسة:

تعد هذه الآية من أوضح الآيات في وضع الظاهر موضع المضمّر، حيث أن السياق جميعه في الكفار كفار قريش، وقد بين الله موقفهم وتعجبهم - ظلماً وعتواً - من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وقولهم في حق نبينا صلى الله عليه وسلم، ولكن الله سبحانه حين حكى قولهم في النبي، لم يقل: وقالوا، مع أنه كان يتحدث عنهم، بل قال: ﴿وَقَالَ الْكُفْرُونَ﴾ وكان مقتضى النظم استعمال الضمير؛ ليكون نسق الجملة؛ وقالوا هذا ساحر كذاب.

وقد أفصح جمعٌ من المفسرين عن هذا الأسلوب بأنه من وضع الظاهر موضع المضمّر، منهم:

الزمخشري والبيضاوي والنسفي وابن جزي وأبو حيان والسمين وابن عرفة والنيسابوري والخطيب الشربيني وصديق حسن وابن عاشور^(٢).

(١) تفسير الجلالين (ص: ٥٩٨).

(٢) انظر: الكشف (٧٢/٤)، أنوار التنزيل (٢٤/٥)، مدارك التنزيل (١٤٤/٣)، التسهيل لعلوم التنزيل (٢٠١/٢)، البحر المحيط (١٣٨/٩)، تفسير ابن عرفة (٣٦٩/٣)، غرائب القرآن (٥٨٣/٥)، السراج المنير (٤٠٠/٣)، إرشاد العقل السليم (٢١٤/٧)، فتح القدير (٤٨٣/٤)، فتح البيان (١٣/١٢)، التحرير والتنوير (٢٠٩/٢٣).

وإن من الحكم لهذا الأسلوب ما يلي:

بيان السبب الذي جعلهم يفوهون بهذه المقولة المشينة، ألا وهو الكفر وستر الحق، ومحاولة طمس الصواب، فلا يبعد أن يأتي هذا من غيرهم من الكفار. التسجيل على هؤلاء بالكفر، فلو قال سبحانه: وقالوا، ما عرفنا حكمهم من الآية، لكن لما وصفهم بهذا الوصف عرفنا حكمهم. بيان أن الكفر يكون بالقول؛ لأن الله تعالى حكم على هؤلاء بالكفر؛ لأجل مقولتهم.

ففي هذا الرد على المرجئة الذين يرون أن الكفر لا يكون بالقول. الدلالة على عظم هذه المقولة وشناعتها، بحيث لا يتجاسر على قولها واعتقادها إلا الكافرون المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي الذين قال فيهم: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ (النساء: ١٥١) وهل ترى كفراً أعظم، وجهلاً أبلغ من أن يسموا من صدقه الله بوحيه كاذباً، ويتعجبوا من التوحيد، وهو الحق الذي لا يصح غيره، ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل الذي لا وجه لصحته^(١).

ومن الحكم –والعلم عنده تعالى– إظهار غضب الله تعالى على هؤلاء، فلما وصفهم الله بالكفر، وهو وصف عظيم وذنب قبيح، بل لا ذنب أقبح منه، علمنا غضب الله على هؤلاء، وبغضه لهم، وكراهيته إياهم^(٢).

كما نستفيد من هذا الأسلوب الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم، إذ أن الوصف بالسحر والكذب من أشنع الأوصاف، غير أن السامع إذا علم مصدر هذا الوصف،

(١) الكشاف (٧٢/٤)، وانظر: مدارك التنزيل (١٤٤/٣)، التسهيل لعلوم التنزيل (٢٠١/٢)، البحر المحيط

(١٣٨/٩)، فتح القدير (٤٨٣/٤)، فتح البيان (١٣/١٢).

(٢) انظر: أنوار التنزيل (٢٤/٥)، السراج المنير (٤٠٠/٣)، إرشاد العقل السليم (٢١٤/٧)، فتح البيان (١٣/١٢)،

إعراب القرآن وبيانه (٣٢٧/٨)، تفسير حدائق الروح والريحان (٣١٥/٢٤).

والمطلق له هان عليه الأمر، إذ الكفر يصدر عنه كل وصف مشين وعمل قبيح، فلا يستغرب من الكفرة إطلاق مثل هذه الكلمات في حق عباد الله الصالحين.

فيه التخفيف على قلب النبي صلى الله عليه وسلم وتهوين تكذيبه من قبل هؤلاء، وقد كان يشدد جداً على نبينا صلى الله عليه وسلم وصفه بالسحر، بيد أن الله خفف الخطاب عليه في هذه الآية وأمثالها، وكأن الله يقول له: لا تحزن يا محمد من وصفك بالسحر، وزعمهم أنك كاذب، فإن هؤلاء كفار بالله تعالى، فما ينتظر من الكفار، وماذا يتوقع منهم؟!.

فهذه بعض الحكم والفوائد التي يمكن تدوينها من هذا الأسلوب القرآني العظيم.

الموضع السابع عشر:

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ (الزمر: ١٩).

قال المحلي - رحمه الله -:

”﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ أي ﴿لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ (هود: ١١٩) الآية ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ﴾

تخرج ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ جواب الشرط، وأقيم فيه الظاهر مقام المضمَر، والهمزة للإنكار، والمعنى: لا تقدر على هدايته، فتنقذه من النار”^(١).

الدراسة:

يرى الجلال المحلي أن جملة: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ جملة شرطية، وفي جوابها - ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ - وضع للظاهر موضع المضمَر، والمعنى: أن النظم - بناء على القاعدة في استعمال الضمير - يكون هكذا: أفمن حق

(١) تفسير الجلالين (ص: ٦٠٩).

عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذه، لكن الله جل ثناؤه أظهر الضمير، وجعل بدله: ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾^(١).

وقد ذكر هذا القول، جمع من المفسرين منهم:

الواحدي والزمخشري وابن عطية والرازي والبيضاوي والنسفي وابن جزى وأبو حيان وابن عادل والنيسابوري وأبو السعود وابن عاشور^(٢).

وكما ذكروه، فقد ذكروا له بعض الحكم، فمن ذلك:

احتقارهم، وإظهار خسة مكانتهم، وسوء عاقبتهم، فأخبر تعالى أنهم في النار،

﴿إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾ (آل عمران: ١٩٢).

الشهادة على هؤلاء بأنهم من أصحاب النار، ولهذا ذهب بعض أهل العلم أن هذه

الآية نزلت في أبي لهب وولده^(٣).

غير أننا لا نجد دليلاً صحيحاً يثبت ذلك، فالآية نزلت عامة في الذين يحادون الله

ورسوله، ويصدون عن سبيل الله، كأبي لهب وأبي جهل وأممية بن خلف وغيرهم،

وليسست خاصة في أحد بعينه.

(١) اختلف المفسرون في "من" الأولى هل هي شرطية أم موصولة؟ وعلى القول بأنها شرطية يتأتى القول بوضع الظاهر محل الضمير.

وانظر خلاف العلماء في هذه الآية في: المحرر الوجيز (٤/٥٢٦)، مفاتيح الغيب (٢٦/٤٣٨)، الدر المصون (٩/٤١٩).

(٢) انظر: التفسير البسيط (١٩/٢٨٦)، الكشف (٤/١٢١)، المحرر الوجيز (٤/٥٢٦)، مفاتيح الغيب (٢٦/٤٣٨)، مدارك التنزيل (٣/١٧٥)، التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٢١٩)، البحر المحيط (٩/١٩٣)، الباب في علوم الكتاب (١٦/٤٩٤)، غرائب القرآن (٥/٦٢١)، إرشاد العقل السليم (٧/٢٤٩)، التحرير والتنوير (٢٣/٣٧٠).

(٣) نسبه غير واحد لابن عباس، وبعضهم لعطاء، ولم أجده عنهما مسنداً، انظر: التفسير البسيط (١٩/٢٨٧)، التفسير الوسيط (٣/٥٧٦)، معالم التنزيل (٧/١١٣)، الجامع لأحكام القرآن (١٥/٢٤٤)، لباب التأويل (٤/٥٤)، السراج المنير (٣/٤٤٠)، فتح القدير (٤/٥٢٤)، فتح البيان (١٢/٩٨).

تهويل حالتهم، وفضاعة شأنهم، ويؤخذ هذا من استعمال الله تعالى لحرف "في" الدال على الظرفية، فكأن النار أحاطت بهؤلاء من كل جانب، وهذا يدل على شناعة ما هم فيه.

وبدل -أيضاً- على هذا: أن الله تعالى أخبر أنهم في النار الآن مع كون زمنه في المستقبل، ليفيد هذا تحقق الأمر تحققاً قطعياً لا مرية فيه، ولا مثنوية، كما في قوله: ﴿أَنَّهُ أَمْرٌ أَلَلَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ (النحل: ١١).

بيان أن هؤلاء لا تجدي دعوتهم شيئاً، ولا يؤثر فيهم النصح، إذ كيف تنفع الدعوة قوماً في النار، ولهذا كان الاستفهام حاملاً لمعنى النفي والإنكار، أي: لا يقدر أحد أن ينقذ من أضله الله، وسبق في علمه أنه من أهل النار.

وهذا كما أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، فهو خطاب للأمة بعده، وحينئذ فلا ينبغي تضییع الوقت مع هؤلاء، ويلتقي هذا المعنى مع المعنى المنصوص عليه في قوله سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ (الأعلى: ٩).

فيها تسلية قلب النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه كان حريصاً على هداية قومه، وتنبيهه إلى أن هؤلاء ومن كان على شاكلتهم لا ترجى هدايتهم، ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ (فاطر: ٨)، وقريب من هذا أن الله جل شأنه أخبر نبيه نوح عليه السلام ﴿أَنَّهُمْ لَن يُؤْمِنُوا مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا يَتَّبِعْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (هود: ٣٦).

(١) التحرير والتنوير (٢٣/٣٧٠)، وانظر: التفسير المنير للزحيلي (٢٣/٢٦٢).

(٢) انظر: فتح البيان (١٢/٩٨).

قال أبو السعود: "ثم وضع موضع الضمير ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾، لمزيد تشديد الإنكار، والاستبعاد والتنبية على أن المحكوم عليه بالعذاب بمنزلة الواقع في النار وأن اجتهاده صلى الله عليه وسلم في دعائهم إلى الإيمان سعي في إنقاذهم من النار"^(١).
تنشيط السامع، وشحذ الذهن للتدبر، وحث العقل للتأمل، وهذا يتأتى من ترك الأصل، فيبدأ العاقل في البحث عن ترك هذا الأصل، وسر الخروج عن المعهود.
فهذه بعض الحكم والفوائد التي تسجل لهذا الأسلوب البلاغي الماتع.

* * *

(١) إرشاد العقل السليم (٢٤٩/٧)، وانظر: فتح البيان (٩٨/١٢).

الخاتمة:

أحمد الله جل شأنه على ما من به من التيسير والمعونة، أحمدته على ما فتح من مستغلق العلم، ومستعسر الفهم، أحمدته حمداً يوازي نعماءه ويكافئ إحسانه، وختام بحثي هذا أدون خلاصته، وأسجل عصارته، فمن ذلك:

عظمة الكتاب العزيز، وعلو بلاغته، وشدة فصاحته، فسبحان من هذا كلامه، فكم درر حواها، ونفائس ضمها، وكنوز جمعها.

وضع الظاهر موضع المضمّر أسلوب عربي، استعملته العرب في منظوم كلامها ومنثوره.

هذا الأسلوب جاء ذكره في كتاب الله تبارك وتعالى كثيراً، فقبله أهل التفسير، وتحدث به أهل التأويل، فلا مرية في ثبوته.

يعد أسلوب "وضع الظاهر موضع المضمّر" أو "الإظهار في موضع الإضمار" أحد الأساليب التي فيها خروج عن الأصل.

لهذا الأسلوب فوائد عدة وحكم جمّة، فلا يترك الأصل ويتعد عن القاعدة إلا لتحصيل هذه الحكم، علمها من علمها وجهلها من جهلها.

عناية الجلالين بهذا الأسلوب، وإن كان السيوطي أكثر من المحلي به عناية واحتفاء.

حوى البحث سبعة عشر موضعاً، كان للسيوطي منها اثنا عشر موضعاً، بينما كان للمحلي خمسة مواضع.

لم يكن من عناية الشيخين إظهار الحكم من هذا الأسلوب، ولو بإشارة يسيرة، وعذرهما أنهما يطلبان الاختصار ما أمكن، وإن كان السيوطي قد ذكر حكمة واحدة في موضعين اثنين.

يسجل للسيوطي عنايته بإيضاح هذا الأسلوب، واهتمامه بإبراز الضمير الذي حل محله الظاهر، بحيث أن القارئ يدرك معنى قول المفسر: فيه وضع الظاهر موضع المضمّر، رغم اختصار الكتاب.

في جميع المواضع التي درست كان هذا الأسلوب حاضراً عند العلماء الآخرين ما بين عالم سابق للجلالين وآخر لاحق، ولم أجد لهما موضعاً انفردا فيه، وهذا يدل على عناية المفسرين بهذا الأسلوب.

وأخيراً:

أوصي بدراسة هذا الأسلوب في القرآن، وأن تجمع المواضع التي فيها وضع الظاهر موضع المضمّر، وكذا دراسته عند العلماء الذين أكثروا من ذكره كأبي السعود والألوسي وصديق حسن خان وغيرهم؛ إذ في هذا خدمة لكتاب الله تبارك وتعالى، وسد ثغرة في علوم القرآن الكريم.

والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

* * *

المصادر والمراجع

١. الإتيان في علوم القرآن، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد، السعودية، ط: الأولى.
٢. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جاز الله، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٣. أصول في التفسير، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، أشرف على تحقيقه: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية، المكتبة الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، إشراف الشيخ بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد.
٥. إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.
٦. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، ٢٠٠٢ م.
٧. الإكسير في علم التفسير، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي، حققه: أ.د. عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الثانية.
٨. أمالي ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بابن الشجري، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.
٩. الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي معلمة العلوم الإسلامية، إياد خالد الطباع، دار القلم - دمشق، ١٤١٧ - ١٩٩٦.

١٠. الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني الشافعي، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل - بيروت، الطبعة: الثالثة.
١١. الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل - بيروت، الطبعة: الثالثة.
١٢. البحر الذي زخر في شرح ألفية الأثر، جلال الدين السيوطي، تحقيق ودراسة: أنيس بن أحمد بن طاهر الأندونوسي، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.
١٣. البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ، ط: الأولى، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون.
١٤. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار المعرفة - بيروت.
١٥. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة - القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
١٦. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.
١٧. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، الطبعة السابعة عشر، ١٤٢٦هـ.
١٨. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - لبنان.

١٩. البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان، الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.
٢٠. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
٢١. التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن القنوجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٢٢. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، بدون ط، سنة طبع.
٢٣. التحدث بنعمة الله، جلال الدين السيوطي، تحقيق إيزابيث ماري سارتين، المطبعة العربية الحديثة، بدون ط، سنة طبع.
٢٤. التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٨٨٤.
٢٥. التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار الكتاب العربي، لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٢٦. التعازي [والمراثي والمواضع والوصايا]، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد، تقديم وتحقيق: إبراهيم محمد حسن الجمل، مراجعة: محمود سالم، نهضة مصر للطباعة والنشر.
٢٧. تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٨. التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، تحقيق مجموعة من الباحثين في جامعة الإمام محمد بن سعود، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ.

٢٩. تفسير البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حقق أحاديثه: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، ط الرابعة، ١٤١٧هـ.
٣٠. تفسير البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي دار الفكر، بيروت.
٣١. تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث، القاهرة، ط الأولى.
٣٢. تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادى الشهير بالخازن، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ.
٣٣. تفسير الرازي، مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ، ط الأولى.
٣٤. تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بيسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٣٥. تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، تحقيق د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.
٣٦. تفسير القاسمي، تأليف العلامة محمد جمال الدين القاسمي، أشرف على تصحيحه محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ط الأولى، ١٣٧٦هـ.
٣٧. تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، للإمام محمد رشيد رضا، دار المنار، ط الثانية، ١٣٦٦هـ.
٣٨. تفسير القرآن العظيم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي المعروف بابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.

٣٩. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط الثانية ١٤٢٠هـ.
٤٠. تفسير القرآن الكريم (الفاتحة والبقرة)، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
٤١. تفسير القرآن الكريم (سورة آل عمران)، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
٤٢. تفسير القرآن للسمعاني، أبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ١٤١٨هـ، ط الأولى.
٤٣. تفسير القرآن للصنعاني، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٠هـ، ط الأولى.
٤٤. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.
٤٥. تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، ت: مروان محمد الشعار، دار النفائس - بيروت، ٢٠٠٥.
٤٦. تفسير مقاتل بن سليمان الأزدي، تحقيق أحمد فريد دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ، ط الأولى.
٤٧. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
٤٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق د. عبد الله التركي، مركز هجر للبحوث، القاهرة، ط الأولى، ١٤٢٢هـ.

٤٩. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ.
٥٠. الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي، دار الرشيد، دمشق، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ.
٥١. الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٥٢. حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، دار صادر، بيروت.
٥٣. حاشية شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي، مكتبة الحقيقة، ١٩٩٨م. تركيا.
٥٤. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
٥٥. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، ت: محمد نبيل طريفي / أميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
٥٦. خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د. محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة: السابعة.
٥٧. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق د. أحمد الخراط، دار القلم، دمشق.
٥٨. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، تحقيق د. عبد الله التركي، مركز هجر للبحوث، القاهرة، الأولى.

٥٩. دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ت: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٦٠. ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، تحقيق: محمد حسين.
٦١. ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، محمد بن أحمد بن علي المكي الحسني الفاسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
٦٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.
٦٣. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ، ط الثالثة.
٦٤. الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
٦٥. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة، ١٢٨٥هـ.
٦٦. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٦٧. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٦٨. شرح ديوان الحماسة، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، المحقق: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٦٩. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ.
٧٠. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.
٧١. طبقات المفسرين، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداودي المالكي، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر دار الكتب العلمية - بيروت.
٧٢. العذب النمر من مجالس الشنقيطي في التفسير، الشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق: د. خالد السبت، دار عالم الفوائد، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ.
٧٣. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي، تحقيق: د. عبد الحميد هندawi، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٧٤. علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»، أحمد بن مصطفى المراغي، بدون طبعة، بدون سنة طبع.
٧٥. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
٧٦. فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن البخاري القنوجي، راجعه: عبد الله الأنصاري، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٧٧. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت.
٧٨. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات، محمد عبد الحی بن عبد الكبير ابن محمد الحسني، المعروف بعبد الحي الكتاني، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٢م.

٧٩. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ.
٨٠. الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ.
٨١. الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، نجم الدين محمد بن محمد الغزي، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٨٢. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ.
٨٣. المبسوط في القراءات العشر، أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري، أبو بكر، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، مجمع اللغة العربية - دمشق، ١٩٨١م.
٨٤. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٨هـ.
٨٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.
٨٦. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادی، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٨٧. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، المكتبة العلمية - بيروت.
٨٨. معاني القراءات للأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

٨٩. معاني القرآن الكريم، لأبي جعفر النحاس، تحقيق، محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ، ط الأولى.
٩٠. معاني القرآن، للإمام أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب، ط الثالثة، ١٤٠٣هـ.
٩١. معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ.
٩٢. معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
٩٣. معجم المؤلفين، عمر بن رضا كحالة الدمشقي، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
٩٤. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.
٩٥. مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، ضبطه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.
٩٦. المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، محمد بن عبد الرحمن المغراوي، مؤسسة الرسالة - دار القرآن، سنة النشر: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٩٧. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٩٨. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
٩٩. النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.

١٠٠. النور السافر عن أخبار القرن العاشر، محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيْدُرُوس، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

١٠١. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب الأندلسي المالكي، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ.د: الشاهد البوشيخي، نشر مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

١٠٢. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

* * *

- 
98. Qais, Maymoun. *Diwan al-'Asha al-Kabir*. Ed. Muhammad Hussein. Print.
99. Redha, Muhammad R. *Tafsir al-Quran al-Hakim, known as Tafsir al-Manar*. 2nd ed. Dar al-Manar, 1366 H. Print.
100. Safi, Mahmoud A. *al-Jadwal fi I'rab al-Quran al-Karim*. 4th ed. Damascus: Dar al-Rashied, 1418 H. Print.
101. Yousef, Ahmad. *ad-Durr Al-Masoun fi Uloum al-Kitab al-Maknoun*. Ed. Ahmad al-Kharrat. Damascus: Dar al-Qalam. Print.
102. Yousef, Muhammd. *Al-Bahar al-Muhit*. Ed. Shaikh Adel A. Abdulmawjoud et al. 1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-'Eilmiyyah, 1422 H. Print.

* * *

- 
85. Al-Zuhaili, Wahba M. *at-Tafsir al-Muneer fi al-Aqida wa ash-Shari'ah wa al-Manhaj*. 2nd ed. Damascus: Dar al-Fekr al-Mu'aser, 1418 H. Print.
 86. Ar-Razi, Muhammad O. *Tafsir ar-Razi, Mafateh al-Ghaib*. 1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1421 H. Print.
 87. Hamzah, Hibatu Allah A. *Amali ibn ash-Shajari*. Ed. Dr. Mahmoud M. al-Tanahi. 1st ed. Cairo: Maktabat al-Khanji, 1413 H. Print.
 88. *Hashiyat al-Shihab 'ala Tafsir al-Baidhawi*. Beirut: Dar Sader. Print.
 89. *Hashiyat Sheikh Zadah 'ala Tafsir al-Qadhi al-Baidhawi*. Turkey: Maktabat al-Haqiqa, 1998 G. Print.
 90. Ibn Aashour, Muhammad T. *Al-Tahrir wa at-Tanwir*. Tunisia: ad-Dar at-Tunisiyyah for publishing, 1884 G. Print.
 91. Ibn Al-Jazari, Shams ad-din A. *AlNashr fi al-Qira'at al-'Ashr*. Ed. Ali M. adh-Dhabba'. al-Matba'ah at-Tejariyyah al-Kubra. Print.
 92. Ibn Kathir, Isma'eil. *Tafsir al-Quran al-Azhim*, Ed. Sami M. Salamah. 2nd ed. Dar Taibah for publishing and distribution, 1422 H. Print.
 93. Ibn Manzhour, Muhammad M. *Lisan al-Arab*. 3rd ed. Beirut: Dar Sader, 1414 H. Print.
 94. Ibn Qayyim al-Jawziyyah Muhammad A. *Madarej as-Salekin Bain Manazil Iyyak Na'bud wa Iyyaka Nasta'ien*. Ed. Muhammad M. al-Baghdadi. 3rd ed. Beirut: Dar al-Ketab al-Arabi, 1416 H, 1996 G. Print.
 95. Makhlof, Muhammad M. *Shajarat an-Nour az-Zakiyah fi Tabaqat al-Malikiyah*. Ed. Abdulmajid Khaiali. 1st ed. Lebanon: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1424 H / 2003 G.
 96. Muhammad, al-Hussein. *Tafsir al-Raghib al-Asfahani*. Ed. Muhammad A. Basyoni. 1st ed. College of Arts, Tanta University, 1420 H / 1999 G. Print.
 97. Nowaihidh, Adel. *Mu'jam al-Mufasrin (mn Sadr al-Islam wa Hatta al-Asr al-Hadher)*. 3rd ed. Lebanon, Beirut: al-Nowaihidh Cultural Foundation, 1409 H / 1988 G. Print.

74. Al-Sharbini, Muhammad A. *Al-Seraj al-Munir fi al-E'anah 'ala Ma'refat Ba'dh Ma'ani Kalam Rabuna al-Hakim al-Khabir*. Cairo: Bulaq Press (al-Amiriyyah), 1285 H. Print.
75. Al-Shawkani, Muhammad A. *Al-Badr at-Tali' bi Mahasen mn ba'd al-Qarn as-Sabe'*. Beirut: Dar al-Ma'refah. Print.
76. Al-Shawkani, Muhammad A. *Fat'h al-Qadir al-Jam'e Bain Fanai ar-Riwayah wa ad-dirayah mn Elm at-Tafsir*. Beirut: Dar al-Fekr, n.d. Print.
77. Al-Tabari, Muhammad J. *Jamie' al-Bayan 'an Ta'wil Ayi al-Quran*. Ed. Abdullah at-Turkey. 1st ed. Cairo: Hajar research centre, 1422 H. Print.
78. Al-Tabba', Eyad K. *al-Imam Al-Hafidh Jalal-Ad-Din as-Sayouti Ma'lamat al-Uloum al-Islamiyyah*. Damascus: Dar al-Qalam, 1417 H / 1996 G. Print.
79. Al-Toufi, Sulaiman A. *Al-Iksir fi 'Elm at-Tafsir*. Ed. Prof. Dr. Abdulqadir Hussain. 2nd ed. Cairo: Maktabat al-Adab. Print.
80. Al-Wahedi, Ali A. *at-Tafsir al-Basit*. Ed. A group of researchers at Imam Muhammad ibn Saud University. 1st ed. Deanship of scientific research, Imam Muhammad ibn Saud Islamic University, 1430 H. Print.
81. Al-Wahidi, Ali A. *Al-Wajiz fi Tafsir al-Kitab al-Aziz*. Ed. Safwan A. Daoudi. 1st ed. Damascus, Beirut: Dar al-Qalam, & ad-Dar al-Shamiyyah, 1415 H. Print
82. Al-Zarkashi, Muhammad A. *Al-Burhan fi Uloum al-Quran*. Ed. Muhammad A. Ibrahim. 1st ed. Dar Ihya' al-Kutub al-Arabiyyah, Essa al-Babi al-Halabi and his partners, 1376 H. Print.
83. Al-Zirikli, Khair ad-Din, M. *Al-A'lam*. 15th ed. Dar Al-'Ilm li al-Malayin, 2002 G. Print.
84. Al-Zubaidi, Muhammad M. *Taqj al-Arous mn Jawaher al-Qamous*. Ed. A group of verifiers. Dar al-Hedaiyah. Print.

63. Al-Samarqandi, Nasr M. *Tafsir as-Samarqandi, named as Bahr al-Uloom*. Ed. Dr. Mahmoud Matraji. Beirut: Dar al-Fekr. Print.
64. Al-San'aani, Abdulrazzaq H. *Tafsir al-Quran li as-San'aani*. Ed. Dr. Mustafa M. Muhammad. 1st ed. Riyadh: Maktabat ar-Rushd, 1410 H, Print.
65. Al-Sayouti, Abdurahman A. *Al-Itqan fi Uloum al-Quran*. Ed. Centre of Quranic Studies. 1st ed. Saudi Arabia: King Fahad Complex. Print.
66. Al-Sayouti, Jalal ad-Din. *ad-Durr al-Manthour fi al-Tafsir bil Ma'thour*. Ed. Dr. Abdullah al-Turkey. 1st ed. Cairo: Hajar research Centre. Print.
67. Al-Sayouti, Jalal ad-Din. *Al-Tahaduth bi Ni'mat Allah*. Ed. Elizabeth M. Sartin. al-Matba'ah al-Arabiyyah al-Hadithah, n.d. Print.
68. Al-Sayouti, Jalal ad-Din. *Hoson al-Muhadhara fi Tarikh Masr wa al-Qahira*. Ed. Muhammad A. Ibrahim. 1st ed. Egypt: Dar Ihya' al-Kutub al-Arabiyyah, Essa al-Babi al-Halabi, 1387 H, 1967 G. Print.
69. Al-Sayouti, Jalal ad-Din. *Mu'tarak al-Aqran fi E'jaz al-Quran*. 1st ed. Lebanon, Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1408 H. Print.
70. Al-Sayouti, Jalal-ad-Din. *Al-Bahr al-lathi Zakhar fi Sharh alfiyat al-Athar*. Ed. Anees A. al-Andonousi. 1st ed. Maktabat al-Ghuraba al-Athariyyah, 1420 H. Print.
71. Al-Shafi'e Muhammad A. *Al-Eedhah fi Uloum al-Balagah*. Ed. Muhammad A. Khafaji. 3rd ed. Beirut: Dar al-Jil. Print.
72. Al-Shanqiti, Muhammad A. *Adhwa al-Bayan fi Edhah al-Quran Bil al-Quran*. Supervised by Shaikh Baker Abu Zaid. Dar 'Alam al-Fawa'ied. Print.
73. Al-Shanqiti, Muhammad A. *Al-'Athb an-Namir mn Majalis ash-Shanqiti fi at-Tafsir*. Ed. Dr. Khalid al-Sabt. 2nd ed. Dar 'Aalam al-Fawa'ed, 1426 H. Print.

52. Al-Qinawji, Muhammad S. *Al-Taj al-Mukallal-mn Jawaher Ma'ather at-Teraz al-Akher wa al-Awal*. 1st ed. Qatar: Ministry of Awqaf and Islamic Affairs, 1428 H / 2007 G. Print.
53. Al-Qinnawji, Muhammad S. *Fat'h al-Bayan fi Maqasid al-Quran*. Revised by Abdullah Al-Ansari. Sidon, Beirut: Al-Maktabah Al-Asriyyah, 1412 H / 1992 G. Print.
54. Al-Qurtobi, Muhammad A. *Al-Jamie' li Ahkam al-Quran*. Ed. Ahmad al-Bardouni & Ibrahim Tufaish. 2nd ed. Cairo: Dar al-Kutub al-Masriyyah, 1384 H. Print.
55. Al-Razi, Abdulrahman M. *Tafsir al-Quran al-Azhim*. Ed. As'ad M. at-Taiyb. Sidon: al-Maktabah al-Asriyyah. Print.
56. Al-Razi, Ahmad F. *Maqayes al-Loghah*. Ed. Abussalam M. Haroun. Dar al-Fikr, 1399 H / 1979 G. Print.
57. Al-Sa'iedi, Abdulmut'aal. *Bughiat al-Eedhah li Talkhis al-Muftah fi Uloum al-Balaghah*. 7th ed. Maktabat al-Adaab, 1426 H. Print.
58. Al-Sabki, Ahmad A. *'Arous al-Afrah fi Sharh Talkhis al-Muftah*. Ed. Dr. Abdulhamid Hindawi. 1st ed. Lebanon, Beirut: al-Maktabah al-Asriyyah, 1423 H / 2003 G. Print.
59. Al-Sakaki, Yusef A. *Muftah al-Uloum*. Ed. Na'im Zarzour. 2nd ed. Lebanon, Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1407 H. Print.
60. Al-Sakhawi, Muhammad A. *Al-Dhaw' al-Lamie' li Ahl al-Qarn al-Tasie'*. Beirut: Dar Maktabat al-Hayat publications. Print.
61. Al-Sakhawi, Muhammad A. *Al-Jawaher wa ad-Durar fi Tarjamat Sheikh al-Islam ibn Hajar*. Ed. Ibrahim B. Abdulmajid. 1st ed. Lebanon, Beirut: Dar ibn Hazim, 1419 H/ 1999 G. Print.
62. Al-Sam'aani, Mansour M. *Tafsir al-Quran li al-Sam'aani*. Ed. Yaser Ibrahim & Ghonaim A. Ghonaim. 1st ed. KSA, Riyadh: Dar al-Watan, 1418 H, Print.

42. Al-Nahas, Abi Ja'far. *Ma'ani al-Quran al-Karim*. Ed. Muhammad A. as-Sabouni. 1st ed. Makkah al-Mukarramah: Um al-Qura University, 1409 H. Print.
43. Al-Naisabori, Ahmad H. *Al-Mabsout fi al-Qir'aat al-Ashr*. Ed. Sabei' H. Hakimi. Damascus: Academy of the Arabic Language, 1981 G. Print.
44. Al-Nasfi, Abdullah A. *Tafsir an-Nasfi*. Ed. Marwan M. ash-Sha'ar. Beirut: Dar an-Nafa'es, 2005 G. Print.
45. Al-Nisabouri, Al-Hassan M. *Ghara'ib al-Quran wa Ragha'ib al-Furqan*. Ed. Zakariya 'Umairan. 1st ed. Beirut: Dar al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1416 H. Print.
46. Al-Othaimin, Muhammad S. *Tafsir al-Quran al-Karim (al-Fatiha & al-Baqarah)*. Supervised by the Charity Foundation of Muhammad ibn Saleh al-Othaimin. 1st ed. KSA: Dar ibn al-Jawzi, 1423 H. Print.
47. Al-Othaimin, Muhammad S. *Tafsir al-Quran al-Karim (Surat al-Imran)*. Supervised by the Charity Foundation of Muhammad ibn Saleh al-Othaimin. 1st ed. KSA: Dar ibn al-Jawzi, 1426 H. Print.
48. Al-Othaymin, Muhammad S. *Usoul fi at-Tafsir*. Ed. Verification Department in al-Maktabah al-Islamiyyah. 1st ed. al-Maktabah al-Islamiyyah, 1422 H / 2001 G. Print.
49. Al-Qadhi, Abdulfattah A. *Al-Budour az-Zahirah fi al-Qira'at al-Ashr al-Mutawatirah mn Tariqai al-Shatibiyyah wa ad-Durrah, al-Qira'at ash-Shathah wa Tawjihaha mn Lughat al-Arab*. Lebanon, Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi. Print.
50. Al-Qasimi, Muhammad J. *Tafsir al-Qasimi*. Correction supervised by Muhammad F. Abdulbaqi. 1st ed. Dar Ihaia' al-Kutub al-Arabiyyah, 1376 H. Print.
51. Al-Qasimi, Muhammad M. *Mahasen Al-Ta'wil*. Ed. Muhammad B. Oyoun as-Soud. 1st ed. Beirut: Dar al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1418 H. Print.

33. Al-Jawzi, Abdulrahman A. *Zad al-Masir fi 'Elm al-Tafsir*. 3rd ed. Beirut: al-Maktab al-Islami, 1404 H. Print.
34. Al-Jurjani, Abdulqaher A. *Dala'il al-Ejaz fi 'Elm al-Ma'aani*. Ed. Mahmoud M. Shaker. 3rd ed. Cairo: al-Madani Press, Jeddah: Dar al-Madani, 1413 H / 1992 G. Print.
35. Al-Kalbi, Muhammad A. *Al-Tashil li Uloum at-Tanzil*. Lebanon: Dar al-Kitab al-Arabi, 1403 H / 1983 G. Print.
36. Al-Mahali, Jalal-ad-Din, and Al-Sayouti, Jalal-ad-Din. *Tafsir al-Jalalayn*. 1st ed. Cairo: Dar al-Hadith. Print.
37. Al-Maliki, Makki A. *al-Hedaiyah ela Bulough an-Nehaiyah fi Elm Ma'ani al-Quran wa Tafsiroh, wa Ahkameh, wa Jumal mn Funoun Uloume*. Ed. A Group of university theses, Postgraduate Studies & Scientific Research College, al-Shariqa University, supervised by Prof. Al-Shahid al-bu-Sheikhi. 1st ed. Published by Group of Quran and Sunnah Research, Islamic Studies College, al-Shariqah University, 1429 H. Print.
38. Al-Maraghi, Ahmad M. *Uloum al-Balaghah (al-Bayan, al-Ma'ani, al-Badie')*. n.p, n.d. Print.
39. Al-Mighrawi, Muhammad A. *Al-Mufaseroun Bain at-Ta'wil wa al-Ethbat fi Ayat al-Sifat*. ar-Risalah Foundation & Dar al-Quran, 1420 H / 2000 G. Print.
40. Al-Mubarrad Muhammad Y. *al-Kamel fi al-Logha wa al-Adab*. Ed. Muhammad A. Ibrahim. 3rd ed. Cairo: Dar al-Fekr al-Arabi, 1417 H. Print.
41. Al-Muradi, Ahmad M. *I'rab al-Quran*. Footnoted and explained by Abdulmun'im K. Ibrahim. 1st ed. Beirut: Muhammad Ali Baidoun publications, Dar al-Kutub al-'Eilmiyyah, 1421 H. Print.

22. Al-Emadi, Muhammad M. *Tafsir Abi as-Su'oud, Irshad al-Aql as-Salim ela Mazaia al-Quran al-Karim*. Beirut: Dar Ihya' at-Turath al-Arabi. Print.
23. Al-Fairooz Abadi, Muhammad Y. *al-Qamous al-Muheit*. Ed. the verification office in ar-Risalah Foundation. 8th ed. Lebanon, Beirut: ar-Risalah Foundation, 1426 H. Print.
24. Al-Fara, Yahya Z. *Ma'ani al-Quran*. 3rd ed. 'Aalam al-Kutub, 1403 H. Print.
25. Al-Fasi, Muhammad A. *Thail al-Taqyied fi Ruwat al-Sunan wa al-Asanid*. Ed. Kamal Y. al-Hout. 1st ed. Lebanon, Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1410 H / 1990 G. Print.
26. Al-Fayoumi, Ahmad M. *al-Misbah al-Munir fi Gharib ash-Sharh al-Kabir*. Beirut: al-Maktabah al-'Elmiyyah. Print.
27. Al-Ghazzi, Muhammad M. *al-Kawakib as-Sa'irah bi 'Ayan al-Mi'ah al-Ashirah*. Ed. Khalil al-Mansour. 1st ed. Lebanon, Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1418 H / 1997 G. Print.
28. Al-Ghurnati, Ahmad I. *Malak at-Ta'wil al-Qati' Bi Thawi al-Ilhad wa at-Ta'til fi Tawjih al-Mutashabeh al-Lafih mn Ayi at-Tanzil*. Footnotaed by Abdulghani M. al-Fasi. Lebanon, Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah. Print.
29. Al-Harawi, Muhammad A. *Tahthib al-Logha*. Ed. Muhammad A. Mur'eb. 1st ed. Beirut: Dar Ihya' at-Turath al-Arabi, 2001 G. Print
30. Al-Hassni, Muhammad A. *Fahras al-Fahares wa al-Ithbat wa Mu'jam al-ma'ajem wa al-mashyakhat wa al-musalsalat*. Ed. Ihsan Abbas. 2nd ed. Beirut: Dar al-Gharb al-Islami, 1982. Print.
31. Al-Jahez, Amr B. *Al-Baian wa at-Tabien*. Beirut: Dar and Maktabat al-Hilal, 1423 H. Print.
32. Al-Jawhari, Isma'eil H. *Al-Sihah Taj al-Lugah wa Sihah al-Arabiyyah*. Ed. Ahmad A. 'Attar. 4th ed. Dar al-'Elm li al-malayin, 1407 H. Print.

11. Al-Andalusi, Abdulhaq G. *Al-Muharer al-Wajiz fi Tafsir al-Ketab al-Aziz*. Ed. Abdussalam A. Muhammad. 1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1422 H. Print.
12. Al-Asfahani, Ahmad M. *Sharh Diwan al-Hamasah*. Ed. Gharied ash-Shaikh. 1st ed. Lebanon, Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1424 H, 2003 G. Print.
13. Al-Azdi, Muhammad Y. *at-Ta'azi (wa al-Marathi wa al-Mawa'idh wa al-Wasaia)* Ed. Ibrahim M. al-Jamal, revised by Mahmoud Salem. Nahdhat Masr for printing and publishing.
14. Al-Azdi, Mukatil S. *Tafsir Mukatil ibn Sulaiman al-Azdi*. Ed Ahmad Fareed. 1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1424 H, Print.
15. Al-Azhari, Muhammad A. *Ma'ani al-Qira'at*. 1st ed. KSA: King Saud University, College of Arts, Research centre, 1412 H. Print.
16. Al-Baghawi, al-Hussein M. *Tafsir al-Baghawi, Ma'alim at-Tanzil fi Tafsir al-Quran*. Ed. Muhammad A. an-Nemr, Othman J. Dhamiriyah and Sulaiman M. al-Harsh. 4th ed. Dar Taibah, 1417 H. Print.
17. Al-Baghdadi, Abdulkader O. *Khazanat al-Adab wa Lob Libab Lisan al-Arab*. Ed. Muhammad N. Turaifi and Amil B. al-Yakoub. Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1998 G. Print.
18. Al-Baghdadi, Ali M. *Tafsir al-Khazin al-Musamma li Bab at-Ta'wil fi Ma'ani at-Tanzil*. Beirut: Dar al-Fekr, 1399 H. Print.
19. Al-Baidhawi, Abdullah O. *Tafsir al-Baidhawi, Anwar at-Tanzil wa Asrar at-Ta'wil*. Beiru: Dar al-Fekr. Print.
20. Al-Da'oudi, Muhammad A. *Tabaqat al-Mufasrin*. Ed. A committee of scholars under the supervision of Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, Beirut. Print.
21. Al-Dimashqi, Omar R. *Mu'jam al-Mu'alefin*. Beirut: Maktabat al-Muthana, & Dar Ihya' at-Turath al-Arabi. Print.

Arabic References

1. Abu Alma'ali, Muhammad A. and Al-Shafi'e, Jalal-ad-Din. *Al-Edhah fi Uloum al-Balaghah*. Ed. Muhammad A. Khafaji. 3rd ed. Beirut: Dar al-Jil. Print.
2. Abu Bakr, Abdulrahman, and as-Sayouti, Jalal-ad-Din. *Bughiat al-Wu'at fi Tabaqat al-Laghawiyien wa al-Nuhat*. Ed. Muhammad A. Ibrahim. Lebanon: al-Maktabah al-Asriyyah. Print
3. Abu Musa, Muhammad M. *Khasa'es al-Tarakib: An analytical study of semantics issues*. 7th ed. Maktabat Wah'bah. Print.
4. Academy of the Arabic Language in Cairo. *Al-Mu'jam al-Wasit*. Dar ad-Da'wah. Print.
5. Ahmad, Mahmoud and Al-Zamakhshari, Jaar Allah. *Asas al-Balaghah*. Ed. Muhammad B. Oyoum as-Soud. 1st ed. Lebanon, Beirut: Dar al-Kutub al-'Eilmiyyah, 1419 H / 1998 G. Print.
6. Al-'Aidarous, Abdulqader S. *Al-Nour al-Safer 'an Akhbar al-Qarn al-'Asher*. 1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1405 H. Print.
7. Al-Akbari, Abdullah H. *Al-Tibian fi I'rab al-Quran*. Ed. Ali M. al-Bajawi. Esa al-Babi al-Halabi and his partners, n.d. Print.
8. Al-Akri, Abdulhai A. *Shatharat ath-Thahab fi Akhbar mn Thahab*. Ed. Mahmoud al-Arna'out, takhrij Abdulqader al-Arna'out. 1st ed. Damascus, Beirut: Dar ibn Kathir, 1406 H / 1986 G. Print.
9. Al-Alousi, Mahmoud A. *Rouh al-Ma'ani fi Tafsir al-Quran al-Azhim wa as-Sab'i al-Mathani*. Ed. Ali A. 'Atiyah. 1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1415 H. Print.
10. Al-Anbari, Muhammad Q. *az-Zaher fi Ma'ani Kalimat an-Nas*. Ed. Dr. Hatem S. al-Dhamen. 1st ed. Beirut: ar-Risalah Foundation, 1412 H. Print.

Using the Explicit in the Position of the Elliptical
in Tafsir Al-Jalalayn Compilation and Study

Dr. Ali Juraiyed Al-Enezi

Department of Islamic Studies
Northern Border University

Abstract:

The title of this study is "Using the Explicit in the Position of the Elliptical in Tafsir Al-Jalalayn: Compilation and Study".

The study aims at identifying the style of using the explicit in the position of the elliptical and stating the benefits of this style in the light of what interpreters and rhetoricians have said. It also aims at collecting the verses in which this style is used by referring to Tafsir Al-Jalalayn.

This research is made up of an introduction, two sections and a conclusion.

The first section includes three parts: two are about al-Jalalayn biography, and the third is about the meaning of using the explicit in the position of the elliptical, followed by the evidence of its occurrence, its benefits, rule and purposes. Moreover, this part covers three themes.

Then the second section includes the study of the verses in which the explicit style is used in the position of the elliptical as stated by Al-Jalalayn.

In the body of the text, there is a listing of scholars who have documented this style in every verse studied, with a demonstration of its usefulness and purpose. Finally, the research conclusion summarises the most important findings and recommendations.